



بشائر الإسلام

٣ ربيع الأول ١٤٣١ هـ
١٧ فبراير ٢٠١٠ م

الأربعاء (٥) العدد

تصدر عن رابطة العلماء السوريين

المفسر العلامة

الشيخ: محمد علي الصابوني
رئيس رابطة العلماء السوريين



العلامة المجاهد

الشيخ: محمد الحامد



حماة
الشماء
رمز
الشموخ
والإباء

الافتتاحية: مكانة العلم في الإسلام

بين السائل والفقير رابطة العلماء السوريين

تنعي العلامة

مسائل في الرضاع الشيخ عبد الحميد طهماز

مجزرة العصر الاحتباس الحراري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾

[الأحزاب: ٤٧]

بشائر الإسلام

مجلة فصلية

إسلامية - علمية - ثقافية

تصدر عن

رابطة العلماء السوريين

عضو في

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

ترخيص الرابطة

برقم: ٦٩٦٢-٨٠٢٤٤٠

بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢

(ستوكهولم - مملكة السويد)

العدد [٥]

الأربعاء: ٣ من ربيع الأول ١٤٣١هـ

الموافق: ١٧ فبراير ٢٠١٠م

أسرة التحرير

مدير الإدارة

د. حسين علي الفرحان

رئيس التحرير

د. خالد محمد حمّاش

مدير التحرير

أ. مصطفى مفتي

سكرتير التحرير

أ. مروان الشقفة

إخراج

وإشراف فني

مصطفى مفتي

المقالات تعبر عن رأي كاتبها، ولا تتبنى المجلة إلا ما يصدر عن أسرة التحرير

اقرأ في هذا العدد

م	الموضوع	ص
١	الافتتاحية - مكانة العلم في الإسلام. بقلم: رئيس رابطة العلماء السوريين. (الشيخ محمد علي الصابوني).	٠٠٤
٢	نبذة عن حياة خادم الكتاب والسنة فضيلة الشيخ/ محمد علي الصابوني.	٠٠٨
٣	المسؤولية والشورى. بقلم/ طريف السيد عيسى.	٠١٤
٤	الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخاطب مهاجري عصرنا وغرباءه (٢). بقلم: أ.د. غسان حمدون.	٠٢٣
٥	الخلاف الأصولي في جريان القياس في الكفارات والحدود المقدرة (بقلم: أ. مصعب الشقفة).	٠٣٨
٦	حماة السماء، مدينة الحضارة ورمز الشموخ والإبء (أ. مصعب الشقفة).	٠٤٨
٧	العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد (أ.د. غسان حمدون).	٠٦١
٨	الشاعر الدكتور محمد نجيب مراد (بقلم: أ.د. غسان حمدون).	٠٨٠
٩	أحمد الياسين (د. عطية الوهبي).	٠٩٠
١٠	أخطاء الأباء مع الأبناء (٢) (د/ عبد الكريم عبد الحميد الخلف).	٠٩٢
١١	الكذب وأثره السلبي في المجتمع (د. أحمد السعيد).	١٠٠
١٢	مجزرة العصر الاحتباس الحراري (د. رياض عبد الله ليلا).	١٠٨
١٣	بين السائل والفقير، مسائل في الرضاع (د/ عامر حسين أبو سلامة).	١٢١
١٤	قراءة في كتاب: صفحات منيرة من حياة الشيخ/ سعيد العبد الله (د. عطية الوهبي).	١٢٥
١٥	المنح الإلهية على البشرية (د. حمزة أبو الفتح حسين قاسم محمد).	١٣٠
١٦	علوم وتقنية (عبد الرحمن مصطفى رضوان).	١٣٧
١٧	الحجامة (د. محمد جمال تركاوي).	١٤٠
١٨	رابطة العلماء السوريين تنعي العلامة الشيخ عبد الحميد طهماز (رحمه الله).	١٥٠
١٩	بيان بشأن الجدار العازل (رابطة العلماء السوريين تُناشد).	١٥٢
٢٠	خطاب الاتحاد العالمي بقبول رابطة العلماء السوريين في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.	١٥٦

مكانة

العلم في الإسلام

بقلم الشيخ

محمد علي الصابوني

رئيس رابطة العلماء السوريين

ورئيس هيئة الشورى فيها

قال الله في كتابة العزيز: **مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْعِلْمِ**
هُوَ بِسِتْوَى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر: ٩]، ليس عجباً أن يُشيد
القرآن بمنزلة العلم في كتاب الله
العزیز، فالعلم نور وهداية، والجهل
ظلمة وضلالة، ويكفي العلم فضلاً
ونبلاً، أن الله عز وجل قرن شهادة
العلماء، بشهادته جل وعلا لنفسه،
بالتفرد بالإلوهية والوحدانية في قوله
عز شأنه: **مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْعِلْمِ**
هُوَ بِسِتْوَى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ
بِأَنفُسِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

[آل عمران: ١٨]، وإذا أردنا أن نعرف فضل العلم، ومكانته في الإسلام، فلنفتح
كتاب الله الجليل لنرى كيف أشاد الله برفعة درجة العلماء، ورفع منزلتهم فوق
جميع الخلق، بقوله سبحانه: **مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْعِلْمِ**
هُوَ بِسِتْوَى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [المجادلة: ١١]، بل لقد سما الإسلام بمكانة العلم، سمواً فريداً حين
نزلت أولى آياته على خاتم الأنبياء والمرسلين، بالدعوة إلى فضل القراءة والكتابة،
ليبين للخلق جميعاً، أن العلم أصل في هذا الدين المبارك، ولذلك كانت أولى آياته
البيانات، تنتزل من علياء السماء، على أشرف الأنبياء، بهذا الوحي الإلهي قال
تعالى: **مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْعِلْمِ**
هُوَ بِسِتْوَى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١) **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ**

الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) [العلق: ١ - ٥]

فهل ترى ديناً أعظم، وأشرف، وأكرم، من دين جعل صرحه الشامخ قائماً على أساس العلم والتعلم، وتنوير العقل بنور العلم والعرفان، وصدق الله العظيم حيث يقول: **M أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى** [الرعد: ١٩] فقد جعل العلم نوراً، والجهل عمى، وشتان شتان بين البصيرة والعمى.

وما أحسن وألطف وأكرم، من قول باب العلم (علي) رضي الله عنه، في رفعة قدر أهل العلم:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاءً
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

علوم الشريعة وعلوم الطبيعة

ولا يُراد بالعلم (علوم الشريعة) فحسب، بل يشتمل علوم الشريعة وعلوم الكون، فانه سبحانه وتعالى، أمر العباد بالتفكير في هذا الكون العجيب، وما فيه من نجوم، وشمس، وقمر، وما فيه من جبال، وبحار، وسهول، وأنهار، ليستدل الإنسان على عظمة هذا الخالق المبدع الحكيم، الذي أبدع هذا الكون غاية الإبداع، وجعل ثمرة هذا التفكير والنظر، والوصول إلى خشية جلّ وعلا في قوله تقدست أسماؤه:

M أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) [فاطر: ٢٧ - ٢٨] فقد وردت هذه الآية الكريمة، في مساق

الحديث عن علماء الكون والطبيعة، الذين يستدلون على عظمة الخالق، من آثار

إبداع الكون، وختمت الآية بالثناء عليهم، يقول الحق جل وعلا: **M إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** [فاطر: ٢٨] أي: إنما يعرف عظمة الله وجلاله، ويعظمه حق تعظيمه، أهل العلم من علماء الكون، وعلماء الدين، وأما الجاهلون الغافلون، فهم في بُعدٍ عن إدراك هذا الكون البديع.

التنبيه على علوم الكون

فالآية نبّهت على علم الأحياء، وعلم النبات، وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وعلم تنوع الجبال، وتنوع البشر، وغير ذلك من العلوم الكونية، تدبر قوله تعالى: **M أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** [فاطر: ٢٧] كيف أخرج الله من هذا الماء الواحد، أنواع الثمار والفواكه، وأنواع النبات والخضار، والورود والأزهار، الماء واحد، والتربة واحدة، والطعوم مختلفة، قال تعالى: **M أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا** [فاطر: ٢٧]، ما أعظم هذا الإحياء البديع؟

مظاهر الخلق والإبداع في الجبال

لم تنتقل الآية إلى الجبال، وما أبدع الله فيها من أشكال وألوان، فهذا جبل حجارته بيضاء، إلى جواره جبل حجارته حمراء، وآخر حجارته سوداء، وهذه أنواع الرخام، الملونة بشتى الألوان والعروق، مم يحير الألباب، إنها جبال زاهية، وليست ثياباً مزركشة بصنع خياطٍ متفنن في هذه الألوان، وهناك ندرك عظمة الخالق: **M وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** أي: من هذه الجبال ذات صخور بيضاء، وحمراء وسود ذات الطرائق والطبقات المختلفة الألوان، ومعنى قوله سبحانه: **M وَغَرَابِيبُ سُودٌ** أي: صخور شديدة السواد، كأن

الخالق لها قد أبدع خلقها كما أبدع خلق البشر، فمنهم الأبيض والأسود والأحمر، فالذي أبدع خلق الجبال، أبدع خلق الناس بألوان مختلفة بهية.

التنبية على مخلوقات الله جل وعلا

ثم يأتي الحديث عن علوم الأحياء، من البشر، والأنعام، والدواب، وما فيها من التنفن في الصور والألوان: **م وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْوَانُهُ كَذَلِكَ** ل فانظر إلى إبداع الله سبحانه في الخلق للناس، كل واحد له شكل وصورة ولون، مع اختلاف اللغات والألسنة والأشكال والألوان، وكلها تشير إلى وحدة الخالق، وروعة إبداعه، وهناك ينطلق اللسان بحمد الله وتمجيده، فيقول المتفكر في مخلوقات الله: (سبحان من أنطق بلحم، وأبصر بشحم، وأسمع بعظم) اللسان لحم، والعين شحم، والسمع عظم، لو فكر الإنسان في خلقة وتكوينه، وما فيه من حواس، وما فيه من أجهزة دقيقة كلها تعمل في هذه (العمارة الإنسانية) جهاز للتنفس، وجهاز للهضم، وجهاز للعروق والأعصاب، وجهاز للمضغ، وجهاز للسمع والبصر، إلى غير ما هناك من أجهزة دقيقة، كلها تعمل في جسم الإنسان، **قَالَ تَعَالَى: م وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ل [الذاريات: ٢١].

الثناء العاطر على جميع العلماء

وقد ختم الله آية فاطر بقوله سبحانه: **م إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ل فالآية عامة في جميع العلماء: علماء الطب، والهندسة، وعلماء الفلك، وعلماء طبقات الأرض، والبحار، والجبال، والنبات، والإنسان، والحيوان، ويدخل علماء الشريعة والدين، فيها دخولاً أولياً، لأنهم من زمرة العلماء ورثة الأنبياء.

نبذة عن حياة خادم الكتاب والسنة

فضيلة الشيخ / محمد علي الصابوني



الإسم: محمد علي بن الشيخ جميل الصابوني.

المولد: ولد فضيلة الشيخ / محمد علي الصابوني في سوريا بمدينة حلب الشهباء بلد العلم والعلماء عام ١٩٣٠ م من أسرة عريقة بالعلم ، فوالده من كبار علماء حلب الشهباء.

دراسته: تلقى الشيخ علوم العربية والفرائض وعلوم الدين على يد والده الشيخ جميل، وحفظ القرآن الكريم في الكتاب وأكمل حفظه في الثانوية وهو في سن مبكرة، وكان للشيخ دراسة على كبار علماء سوريا منذ نعومة أظفاره فهو قد نشأ محباً للعلم، راغباً في تلقيه على الشيوخ الأجلاء. وقد كان من أبرز شيوخه فضيلة الشيخ / محمد نجيب سراج (عالم الشهباء) وفضيلة الشيخ / أحمد الشماخ، وفضيلة الشيخ / محمد سعيد الإدلبي، وفضيلة الشيخ / راغب الطباخ، وفضيلة الشيخ / محمد نجيب خياطة (شيخ القراء) وغيرهم من العلماء والشيوخ الأفاضل في ذلك العصر، وكان يحضر دروساً خاصة على أيدي بعض الشيوخ في المساجد والبيوت.

تلقى الشيخ / محمد علي الصابوني الدراسة النظامية في المدارس الحكومية، ولما حصل على الشهادة الابتدائية انتسب إلى إعدادية وثانوية التجارة فدرس فيها سنة واحدة، ولما لم توافق ميوله العلمي - لأنهم كانوا يعلمون فيها الطلاب أصول المعاملات الربويّة التي تجري في البنوك - هجر الإعدادية التجارية (مع أن ترتيبه فيها كان الأول على زملائه) وانتقل إلى الثانوية الشرعية التي كانت تسمى (الخسروية) في مدينة حلب وفيها درس الإعدادية والثانوية، وكانت دراسته فيها مزدوجة تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية التي كانت تدرس في وزارة المعارف، فقد كانت المواد الشرعية كلها من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول،

والفرائض، وسائر العلوم الشرعية إلى جانب الكيمياء والفيزياء والجبر والهندسة والتاريخ والجغرافيا واللغة الإنجليزية تدرّس أيضاً فيها، فكانت دراسته جامعة بين الدراسة الشرعية والدراسة العصرية، وقد تخرج في الثانوية الشرعية عام ١٩٤٩ م.

ولما أنهى دراسته الثانوية بتفوق ابتعثته وزارة الأوقاف السورية إلى الأزهر الشريف بالقاهرة على نفقتها للدراسة الجامعية، فحصل على شهادة كلية الشريعة منها بتفوق عام ١٩٥٢ م، ثم أتمّ دراسة التخصص فتخرج عام ١٩٥٤ م في الأزهر الشريف حاصلاً على شهادة (العالمية في تخصص القضاء الشرعي) وكانت هذه الشهادة أعلى الشهادات في ذلك العصر، وهي تعادل شهادة الدكتوراه حالياً، وقد نالها بتفوق وامتياز.

رجع بعد دراسته في مصر إلى بلده (سوريا) فعين أستاذاً لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب الشهباء ودور المعلمين، وبقي في التدريس ثماني سنوات منذ عام ١٩٥٥ م إلى عام ١٩٦٢ م.

انتدب إلى المملكة العربية السعودية أستاذاً مُعَازاً من وزارة التربية في سوريا للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية التربية بالجامعة بمكة المكرمة، وكان على رأس البعثة السورية إلى المملكة آنذاك، فدرّس فيها ما يقارب ثمانية وعشرين عاماً، وتخرج على يديه أساتذة الجامعة في هذه المدة الطويلة.

ونظراً لنشاطه العلمي في البحث والتأليف فقد رأت جامعة أم القرى أن تسند إليه تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي فعين باحثاً علمياً في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، فاشتغل في تحقيق كتاب عظيم في التفسير يسمى (معاني القرآن) للإمام أبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ، والمخطوطة نسخة فريدة في العالم لا يوجد لها ثانية، فقام

بتحقيقها على الوجه الأكمل، بالاستعانة بالمراجع الكثيرة بين يديه من كتب التفسير واللغة والحديث وغيرها من الكتب التي اعتمد عليها، وقد خرج الكتاب في ستة أجزاء، وطبع باسم جامعة أم القرى بمكة المكرمة _مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي_ وبعد ذلك انتقل الشيخ للعمل في رابطة العالم الإسلامي مستشاراً في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وبقي فيها عدة سنوات قبل أن يتفرغ للتأليف والبحث العلمي.

آثاره العلمية: للشيخ مؤلفات عديدة في شتى العلوم الشرعية والعربية ألفها في مشواره العلمي الطويل فكانت من أهم الكتب في مجالاتها ولاقت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين طلاب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي وترجم العديد منها إلى لغات مختلفة كالتركية والإنجليزية والفرنسية والملاوية والهوساوية وغيرها من لغات العالم الإسلامي، وقد ألف بعضها أثناء تدريسه في الجامعة، وبعضها الآخر بعد انتهائه من التدريس، وتفرغه للتأليف، وإلى جانب مؤلفاته، فإن للشيخ نشاطاً علمياً واسعاً فقد كان له درس يومي في المسجد الحرام بمكة المكرمة يقعد فيه للإفتاء في المواسم، كما كان له درس أسبوعي في التفسير في أحد مساجد مدينة جدة امتد مدة تقارب ثماني سنوات، فسّر خلالها لطلاب العلم أكثر من ثلثي القرآن الكريم، وهي مسجلة علىشرطة كاسيت، كما قام الشيخ بتصوير أكثر من ستمائة حلقة لبرنامج لتفسير القرآن الكريم كاملاً ليعرض في التلفاز، وقد استغرق هذا العمل زهاء السنتين، وقد أتمه حفظه الله نهاية عام ١٤١٩هـ.

مؤلفات الشيخ الصابوني:

ملاحظات	الصفحات	عدد الأجزاء	اسم الكتاب	رقم
	١٨٣٧	ثلاثة مجلدات	صفوة التفاسير	١
	٢١٥	مجلد واحد	المواريث في الشريعة الإسلامية	٢
	٢٠٨	مجلد واحد	من كنوز السنة	٣
	١٢٦٤	مجلدان	روائع البيان في تفسير آيات الأحكام	٤
	٣٧٩٤	ثمانية مجلدات	قبس من نور القرآن الكريم	٥
	٢٠٠	غلاف	السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المتزل	٦
	١٨٣٠	ثمانية مجلدات	موسوعة الفقه الشرعي الميسر (سلسلة التفقه في الدين)	٧
	٢٤٦	مجلد واحد	الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة	٨
	١٦٠٠	مجلد واحد	التفسير الواضح الميسر	٩
	١٤٤	غلاف	المهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح	١٠
	٣٢٥	مجلد واحد	إيجاز البيان في سور القرآن	١١
	٧٢	غلاف	موقف الشريعة الغراء من نكاح المتعة	١٢
	٩٦	غلاف	حركة الأرض ودورها حقيقة علمية أثبتها القرآن	١٣
	٣١٥	مجلد واحد	التبيان في علوم القرآن	١٤
	٥٠	غلاف	عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع	١٥
	٤٣٢	مجلد واحد	النبوة والأنبياء	١٦
	٤٠	غلاف	رسالة الصلاة	١٧
	٤٤	غلاف	المهدي وأشراط الساعة	١٨

١٩	المقتطف من عيون الشعر	غلاف	١٥٨
٢٠	كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير	غلاف	١٩٠
٢١	درة التفاسير (على هامش المصحف)	مجلد واحد	٦٠٤
٢٢	جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية	غلاف	١٠٤
٢٣	التبصير بما في رسائل بكر أبو زيد من التزوير	غلاف	١٠٨
٢٤	شرح رياض الصالحين	مجلد واحد	٧٨٤
٢٥	شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول	غلاف	٥٦
٢٦	رسالة في حكم التصوير	غلاف	٤٥
٢٧	معاني القرآن (للنحاس)	ستة مجلدات	٣٢١٤
٢٨	المقتطف من عيون التفاسير (للمنصوري)	خمسة مجلدات	٢٩٢٦
٢٩	مختصر تفسير ابن كثير	ثلاثة مجلدات	٢٠٥١
٣٠	مختصر تفسير الطبري	مجلدان	١٠٥٨
٣١	تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (للبروسوي)	أربعة مجلدات	٢٣٦٤
٣٢	المنتقى المختار من كتاب الأذكار (للنووي)	مجلد واحد	٤١١
٣٣	فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (للأنصاري)	مجلد واحد	٦٣٨
٣٤	تفسير الدعوات المباركات (للأيديني)	غلاف	١٤٣
٣٥	نكاح المتعة في الإسلام حرام (للحامد)	غلاف	١٠٠
٣٦	آمنت بالله (الإيمان بالله أساس عقيدة التوحيد)	مجلد	٣٥٠
٣٧	صفحات مشرقة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام	مجلد	٣٨٤
٣٨	الإبداع البياني في القرآن الكريم	مجلد	٤٦٤
٣٩	الجهاد في الإسلام والخطأ الدارج في فهمه	غلاف	٧٠
٤٠	الشرح الميسر لصحيح البخاري	تحت التأليف	

المسؤولية والشورى

مسؤول حتى الموت رغم أنف الجميع

بقلم: طريف السيد عيسى

قال تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [سورة الأحزاب: ٧٢].
(المؤسسة والبناء المؤسسي، الأمل المنشود والحلم المفقود، يتمناه الجميع ويتطلعون له ويحلمون بالوصول إليه.

فكم أنفقت من أموال وكم بذلت من جهود، من أجل إعادة بناء المؤسسات، وكم أجريت من دراسات، وكم عقدت من جلسات وكم أبرمت من صفقات، وكم حررت من وثائق وأدبيات، طمعاً في هذا الأمل المقصود.

لقد خلق الله الإنسان وفطره على حب ذاته والتعصب لأفكاره، فهو طموح يعتقد برأيه ويحب من يوافقه ويبادل العدا من يعانده ويضاده، ويميل إلى حب التفرد والسيطرة على الآخرين، مع تفاوت بين الناس في تطبيق هذه المفاهيم.

وتحت ظلال هذه الفطرة وضغط هذه الغريزة، يتمسح الناس بالمؤسسات ويزعمون أنهم من أهلها ومن صناعاتها، وأكثرهم - إلا من رحم الله - في الحقيقة متصنعون، فتراهم تارة ينادون بالمؤسسية، وتارة يقومون بالتتظير لها، من أجل الإثبات للآخرين بأن لديهم عقولاً جماعية، وأفكاراً بعيدة عن الفردية وعن حب التسلط والسيطرة، تفادياً لذم الناس، وحذراً من نفورهم عنهم، بسبب هذا المسلك الذميم.

ولك بالمقابل أن تتأمل في النفس التي تسمو فوق هذه الغريزة، فتمتلك روحاً مؤسسية وتُفكّر بعقلية جماعية، فتراها تقدم رأي الجماعة، وتتنازل عن التعصب لرأيها رغبة في وحدة الصف وقوته، وحذراً من تمزقه وإضعافه، إشباعاً لهذه الغريزة.

لك أن تتأمل بهذه الشخصية الفريدة، ولك أن تتعجب من ندرتها وقلة وجودها، إنها تسبح ضد تيار جارف من الغرائز البشرية والطباع الآدمية، مخالفة بذاك طباعهم وأهواءهم) البناء المؤسسي - محمد بن ناجي عطية.

يمثل العمل المؤسسي الصورة التي يتطلع إليها المهتمون بشأن العمل الإسلامي، فهذه الصورة غائبة أو مغيبة عن كثير من مؤسسات العمل، وهذا الغياب منه ما هو مقصود ومتعمد لغرض التفرد، ومنه ما يكون بسبب الجهل وعدم الخبرة في العمل المؤسسي والإداري.

نصاب بالعجب عندما نرى كثيراً من العاملين في حقل الدعوة، يطالبون حكام بلادنا بالمؤسسية والحرية وسيطرة القانون، بينما تجدهم أكثر الناس فردية وديكتاتورية من أولئك الزعماء.

إن كثيراً من مؤسسات الدعوة على اختلاف الأسماء والأفكار والرايات، تعاني من القيادة الفردية، وانعدام المشاركة والشورى.

وهذا ما يدعونا جميعاً إلى إعادة ترتيب أوضاعنا ومؤسسة العمل للتخلص من فكرة القائد الفرد المستبد.

وأهم سبب لسيطرة العقلية الفردية هو انعدام اللوائح التنظيمية، والهيكلية الإدارية، وعدم وضوح وتحديد الصلاحيات، والارتجالية وعدم اتباع الطرق العلمية في الإدارة، وغياب التفكير الجماعي.

كثيراً ما نسأل: لماذا يخفق العمل؟ لماذا الجهد المبذول ضخم بينما النتائج قليلة؟
الجواب: غياب الشورى، وعقلية التفكير الجماعي، والأسس العلمية في الإدارة، كل ذلك يؤدي إلى ضعف الإنتاج، والتخبط في القرارات، وعزوف الناس، وضعف الثقة في المؤسسات.

ما هو العمل المؤسسي:

هو شكل من أشكال التعبير عن التعاون بين الناس، أو هو الميل لقبول العمل الجماعي وممارسته على أرض الواقع - العمل المؤسسي - محمد أكرم العدلوني.
ويمكن القول إنه: التجمع المنظم بلوائح يوزع العمل فيه على إدارات متخصصة، ولجان وفرق عمل، بحيث تكون مرجعية القرارات فيه لمجلس الإدارة، أو الإدارات في دائرة اختصاصها، أي: أنها تتبثق من مبدأ الشورى الذي هو أهم مبدأ في العمل المؤسسي - حتى تخرج دعوتك من نطاق الفردية - أسماء الرويشد.

فهي أداء العمل المطلوب بإحسانه وإتقانه على أكمل وجه وفي الوقت المحدد، وهي ليست كلمة تقال باللسان، بل فعل على الأرض بكل صدق وإخلاص وتجرد وتضحية وتفكير جماعي.

وهي أيضا أمانة ويجب أخذها بكل صدق وقوة وأن نوفيها حقها.

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها).

فوائد العمل المؤسسي:

- يحقق التعاون والتنسيق بين اللجان والفروع والأنشطة كافة.
- يحقق مبدأي التكامل والتوازن في العمل.
- يحقق الاستقرار في العمل.
- يجعلنا نستفيد من الطاقات والإمكانيات كافة.
- يضمن الاستمرارية في العمل بهمة ونشاط.
- تتعدم الفردية والتفرد.
- يكون الجميع تحت سقف اللوائح والنظم.
- يقدم الأبدال باستمرار.
- يعطي الشرعية للعمل.
- يجعل الناس أكثر ثقة بالعمل.
- يوصل لأصوب القرارات.
- يجنب المؤسسة التهور والتخبط والانحراف.

عوامل نجاح العمل المؤسسي:

- القناعة بضرورة العمل الجماعي ونبذ الفردية.
- الصدق والإخلاص والتجرد والتضحية.
- التجربة والخبرة والكفاءة وبعد النظر.
- القدرة على المتابعة والاستمرارية والتقييم.
- التحمل وسعة الصدر.
- المشاركة الجماعية في صياغة القرارات والمشاريع.
- التنويع في الإدارات واللجان، بحيث يوجد أشخاص من بيئات مختلفة.
- ترسيخ لغة الحوار والنقاش ضمن الأصول والقواعد المتعارف عليها.

- تحديد ثوابت عامة للعمل لا يجوز الخروج عنها، وتعدّ مرجعية للعمل.
- تجنب الخلافات الشخصية وعدم إقحام العمل بها، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.
- اختيار الشخص المناسب على أسس علمية وموضوعية.
- تجنب الغلو أو النقد باستمرار لبعض الأشخاص.
- وأذكر مثلاً عملياً على فشل العمل:
ففي أحد المراكز الإسلامية تم إنشاء مجلس شورى، وبعد العمل بمدة، تم التوصل لقناعة أنه يجب حل هذا المجلس لأنه أصبح عبئاً على المركز، وأصبح بؤرة للمشكلات، فكان القرار النهائي بإلغاء مجلس الشورى، ولو أردنا التعرف إلى أسباب الفشل لأمكننا القول:
- غياب مفهوم ومعنى وأصول الشورى عند البعض.
- لم يتم اختيار الأعضاء على أسس علمية وموضوعية ومنطقية.
- جهل البعض بأسس وأنظمة الاجتماعات واللقاءات.
- عدم توفر رؤية واضحة في تقديم المشاريع واتخاذ القرارات.
- النية المبيتة لدى البعض لإفشال العمل لعدم سير المجلس على وفق عقليتهم وطريقة تفكيرهم.
- تقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة.
- رغبة البعض في حب الظهور وتولي مسؤولية المجلس.
- فرض الرأي القائل إنَّ الشورى غير ملزمة من قبل الجهة المسؤولة عن المجلس.
- عدم تدخل الجهة المسؤولة لوضع حد للأعضاء المخربين داخل المجلس.
- عدم وجود لوائح ونظام يضبط وينظم عمل المجلس.
أسباب فشل العمل وضعف النتائج:
- غياب عقلية العمل الجماعي وسيطرة العقلية الفردية.
- انعدام الخبرة والكفاءة في العمل الإداري.
- عدم وجود أنظمة ولوائح وصلاحيات.
- ضعف التنسيق بين أعضاء الإدارة واللجان.
- عدم تنفيذ القرارات، أو التعامل مع القرارات بمكيالين، وحسب الجهة التي اتخذت القرار.
- خرق بعض القرارات من قبل بعض الأشخاص الذين هم أعضاء في الإدارة أو اللجان.
- تداخل الصلاحيات، والتعدي عليها من قبل الآخرين.

- المجاملة والمحسوبة ووضع الشخص غير المناسب في المكان المناسب.
- تسريب أخبار العمل والقرارات من قبل بعض الأعضاء.
- محدودية الموارد المالية.
- الغموض في الأهداف.
- انعدام الشفافية في كل شئ.
- وجود تيارات ومحاور داخل الإدارة أو اللجنة الواحدة.
- ربط كل الأمور بيد فرد، وغالبا ما يكون المسؤول الأول في المؤسسة.
- إن التفرد في العمل مهما وجدنا له من مبررات، فإنه شكل من أشكال الاستبداد المنتشر في مجتمعاتنا، حيث تقوم المؤسسة على عقلية الفرد الذي يفهم في كل شئ، وما على الباقين سوى السمع والطاعة، وكل من ينتقد أو يعترض فهو متهم بالعصيان والتمرد وشق الصف وخلق الفتن.
- وعندما أتحدث عن النقد والتقييم فأقصد ذلك النقد الصادر فقط للتشكيك والطعن بالآخرين من أجل أن يبقى الناقد وحده بالساحة.

الأسباب التي تؤدي للتفرد:

- الإعجاب بالنفس، واتباع الهوى، فالمعجب بنفسه يعتقد أنه هو الفهم الوحيد بين العاملين، كما أنه يمتنع عن التعرف إلى آراء الآخرين وإمكانياتهم، وينطلق من قاعدة فرعون:
- (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) [سورة غافر: ٢٩].
- (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) [سورة القصص: ٥٠].
- الجهل بضرورة ومعنى الشورى.
- حب السيطرة، فهناك من يعتقد أنه لا ينجح العمل إلا بالسيطرة على العمل.
- ضعف الثقة بالناس، فيتوهم المستبد أن كل من حوله ضعاف لا رأي لهم، وتفكيرهم سطحي، وغير قادرين على تقدير المصلحة، وبدونه سينهار العمل.
- ولو نظرنا في قصة سليمان عليه السلام مع الهدد، لوجد أنه على الرغم من علم سليمان ونبوته، يقول له طيرٌ ضعيف قال: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) [سورة النمل: ٢٢].
- الاستهتار والاستخفاف بما لدى الآخرين من أفكار، وسوء التقدير لإمكانياتهم.
- التساهل والتسويق، فالبعض يعد ويسوف، ساعمل، سأستشير، ويمر الوقت ويضيق ولا يُنجز شئاً.

- العجلة والتسرع، فهناك من لا يعرف الحلم والأناة والتروي، فما فإذا ما لاح له أمر ما تسرع في اتخاذ القرار.
- التردد.

(فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).

وضع المؤسسة الخاضعة للعقلية الفردية:

- فهي بدائية في العمل الإداري، وتعمل بارتجالية ومن دون خطط أو برامج.
- لا يوجد لديها نظام ولوائح وصلاحيات.
- تأثيرها محدود في البيئة المحيطة.
- غير مستقرة وتتعرض باستمرار لهزات ومشكلات.
- لا تلقى الاحترام المطلوب.
- هي محل نقد باستمرار.
- لا تكتسب الشرعية المطلوبة.
- غير قادرة على استيعاب الطاقات البشرية وتوظيفها، أو الاستفادة من الإمكانيات المتاحة.
- تجدها واقعة تحت سيطرة فرد واحد، حيث لا يمكن البت في الأمور إلا بوجود هذا الفرد.
- ومما يؤسف له أننا نجد من يجلس ويتحدث وينظر حول رسالة الإسلام التي جاءت لتقف بوجه كل أشكال الاستبداد، وتوجب الشورى.
- يقول الله تعالى:

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: ١٥٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم).**

إن الفردية مرض، ولا يمكن القضاء عليه إلا من خلال تحصين المؤسسات بلقاح الشورى والمشاورة وعقلية التفكير الجماعي.

ولما للشورى من أهمية فلقد ذكرها الله تعالى مع مجموعة من فرائض الإسلام.

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

[سورة الشورى: ٣٨].

ففي آية (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)، وآية الشورى رقم ٣٨ يتضح وجوب الشورى وأهميتها، وأنها السبيل الوحيد للمشاركة وتلاقح الآراء والوصول لأصوب القرارات والمواقف. إنها فريضة إلهية ولا خيار في التخلي عنها، فهي شاملة لحياة المجتمع.

(جاء في شرح الجامع الصغير للشيخ عبد الرؤوف المناوي قوله في المشورة: إن المشورة عماد كل صلاح وباب كل فلاح ونجاح).

وبالعودة إلى الآية ٣٨ من سورة الشورى نجدها نزلت على المؤمنين في مكة ولم تقم بعد للمسلمين دولة، كما أنها ربطت بين الأخذ بالشورى والاستجابة لله ورسوله، مما يدل على عظمة الشورى ومكانتها.

ويقول الخليفة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: (في الشورى سبع خصال: استنباط الصواب، واكتساب الرأي، والتحصن من السقطة، وحرز من الملامة، ونجاة من الندامة، وألفة للقلوب، واتباع للأثر).

وقال ابن عبد البر: (الشورى محمودة عند عامة العلماء، ولا أعلم أحداً رضي الاستبداد، إلا رجل مفتون مخادع لمن يطلب عنده فائدة...) التحرير والتنوير ج ٤ ص ١٥٠.

من الواضح أن الشورى لا تختص بالتشاور بين اثنين بل تعم كل الأمة، إذ إنَّ الغرض من التشاور هو تمحيص الآراء واستكشافها من أجل التوصل إلى أفضل الحلول والصيغ، لذلك كلما ازداد المتشاورون زادت فرص الحصول على الأفضل والأصوب، وإذا كان بناء العقلاء على التشاور في الأمور الخاصة، فإن الأمر يصبح أكد وأكثر ضرورة عندهم إذا تعلق الأمر بالمصالح العامة التي يشترك فيها الآخرون، وحينئذ فلا يستطيع أي شخص أن ينفرد باتخاذ قرار ما وحده ليتصرف في شؤون الآخرين إلا إذا حصل على تفويض من الآخرين بالتصرف.

أهداف الشورى:

- الاستجابة لأمر الله وطاعته.
- البحث عن الحق والصواب والأقرب لهما.
- اكتشاف الطاقات والمواهب.
- جمع القلوب وتأليفها.
- التدريب على تقبل الآراء المخالفة.
- تنسيق الجهود والاستفادة من كل ما هو متاح.
- سد الثغرات التي ينفذ منها الشيطان.

- تمتين أو اصر العلاقات.
- سد الطريق على التفرد.
- تحمل المسؤولية بشكل جماعي.

كيف تكون الشورى:

(تمتد مساحة الشورى حتى تشمل الأمة المؤمنة كلها، وتضيق حتى تشمل الأفراد، ويحدد ذلك أمور: الواقع البشري، والقضية المطروحة، وظروف الأمة المؤمنة، والحالات الطارئة، والطاقة البشرية المتخصصة والمؤسسات.

المتخصصة، التنظيم الإداري ومستويات المسؤولية والأمانة، كل ذلك من خلال منهج الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم، والشورى لا تسقط عن الأمة أبدا مهما ضاقت بها الظروف، أو اشتدت المحن، ومن هنا تكون مسؤولية الجهد البشري المؤمن أن يتجاوب مع كل ظروفه ليلبي داعي الشورى على وفق قواعد منهج الله...) كتاب ملامح الشورى

ممارسات خاطئة في أثناء الشورى:

- حجب بعض المعلومات عند ممارسة الشورى.
 - تزيين رأي معين قبل الدخول في الشورى لجعله هو الرأي المفضل.
 - تسفيه الآراء المخالفة.
 - استغلال الخصومات الشخصية لإفشال الشورى.
 - استغلال المكانة من قبل البعض لتمشية أمر ما.
 - عدم إعطاء الفرص المتكافئة في طرح الآراء.
 - اختيار توقيت وظرف معين لتمير قرار ما.
 - خلق حالة الفوضى لتجميد الشورى وجعلها تراوح في مكانها.
- فالإنسان لا يستغني عن المنظمة أو المؤسسة، منذ ولادته حتى وفاته، ولاسيما على رأي من عرف المنظمة أو المؤسسة - باعتبارهما معاني مترادفة - بأنها تجمع لشخصين، أو أكثر، جمعهم أهداف مشتركة، فبناءً على هذا المعنى، دخل البيت والمدرسة والجامعة والمسجد والمستشفى والمتجر والمؤسسة والجمعية، وكل ما يمس حياة الناس في مفهوم المنظمة أو المؤسسة، والتي لا يصلحها إلا التعاون والتفاهم والعمل بروح الفريق الواحد

المتعاون، ولا يخربها ويفسدها ويضعفها إلا حب التسلط والتفرد وتهميش الآخرين، والتمتع بحب الظهور على حساب جهودهم.

فإذا علمت حجم وجود المؤسسات المحيطة بنا، وحجم الجهود المطلوبة لإنجاحها، علمت حينئذ كم أضعفت الأمة من الجهود والأموال والأوقات، حينما لم يستوعب الناس معنى المؤسسة والفكر المؤسسي، وعلمت حينئذ حجم التحديات التي تنتظر الأمة كي تبني مؤسسات ناجحة على أسس سليمة.

والعمل المؤسسي، أمرٌ ميسورٌ ومقدورٌ عليه، وتحقيقه ليس مستحيلاً ولا ضرباً من الخيال.

والتعاون والتكاتف والتآلف بين الناس، يصنع النجاح ويذلل الصعاب ويبارك الجهود، وما ذلك إلا ثمرة لعون الله تعالى للمؤمنين، إذا التزموا أمره، إذ يقول: **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى**

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) [سورة المائدة: ٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه: **(عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية)** [رواه أبو داود وحسنه الألباني].

وهي سنة كونية أفاد منها غير المؤمنين حين أخذوا بأسباب القوة، فجعلها الله سبباً لنجاحهم وتفوقهم المادي.

لقد وضع الناس اللوائح والأنظمة؛ في محاولة لتطبيق العمل المؤسسي، لكنها تظل حبيسة لفطرتهم تلك، وسيظل نجاحها متوقفاً على مدى رغبتهم في التخفيف من طغيان تلك الغريزة، ومتى لم تشأ فطرتهم ذلك، لا تفلح كل هذه الأنظمة في شيء وستبقى حبراً يملأ الأوراق، وشعارات تردد وتبرز، لإثبات المسلك المؤسسي للمتفذين، عند الحاجة لذلك، حتى ولو كان الواقع يخالف تلك الشعارات.

وما نجحت الدول الكبيرة والمؤسسات العريقة، إلا لأنه توفر لديها فكر المؤسسة، فكان المهيمن، وتقلص دور الفرد، حتى صار تابعاً لفكر المؤسسة وليس مهيماً عليه، وصار غياب الفرد أو حضوره لا يؤثر كثيراً في النشاط الرئيس للمنظمة.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا.

الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب مهاجري عصرنا وغرباءه (٢)

بقلم: أ.د. غسان حمدون

www.hamdoun.net

تكلّمنا في العدد الماضي عن أسباب الغربة ومواطنها،
وتعرفنا على أنواع المغتربين، ثمّ تكلّمنا عن المهاجرين وأجرهم،
وعرفنا أن الهجرة من أسباب المنعة والتوسعة في الرزق، ثمّ انتقلنا
للحديث عن المهاجر وخطر النكوص والتراجع، وأن ذلك سبب من
أسباب الخسران، واليوم نكمل - بعون الله وفضله - مسيرتنا لنتمّ هذا
الموضوع، ثمّ نختم بحثنا هذا بالحديث عن لوازم المهاجرين
والغرباء في عصرنا.

نية الهجرة واستصحابها:

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو
امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» رواه البخاري ومسلم^(١).

(١) صحيح البخاري (١/٣/٣) أطرافه ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣ ، ومسلم (٣/١٥١٥/١٩٠٧) واللفظ ونقلته من مسلم. إن هذا الحديث متفق على صحته أخرجه الأئمة المشهورون إلا الموطأ -فتح الباري صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٧/١) -.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من هاجر يبتغي شيئا فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس^(٢).

فمن قصد بهجرته وجه الله تعالى - وقع أجره على الله، ومن قصد بها دنيا أو امرأة، فلا حظ ولا نصيب له في الآخرة بسبب هذه الهجرة، وأصل الهجرة الترك، والمراد هنا ترك الوطن^(٣)

والنية عزيمة القلب، فهي هنا عزيمة القلب على الهجرة لله تعالى وحده، ولا بد منها في أول الهجرة واستصحابها حكماً فلا يأتي بمناف لها شرعاً حتى تقبل منه إن شاء الله تعالى: قال ابن حجر العسقلاني عن النية: **«والمرجع أن إيجادها ذكراً في أول العمل ركن، واستصحابها حكماً بمعنى ألا يأتي بمناف شرعاً شرط»**^(٤).

الأنس في الهجرة:

إنّ الأنس بالله تعالى هو خير أنس للمهاجر في هجرته، ولا يُشعر بهذا الأنس إلا بكثرة ذكر الله تعالى ومعاشرة الصالحين أصحاب هذا الأنس الكريم، يقول الشاعر مناجياً ربه في غربته بعيداً عن الأوطان مستأنساً به سبحانه في هجرته:

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أنّ لوعات الغرام تذيئهُ
وطوبى لصاباً أنت ساكن سرّه ولو بان عنه إلفه وقريئهُ
فياغلة في الصدر أنت شفاؤها ويا مرضاً في القلب أنت طبيئهُ
عبيدك في باب الرجاء متضرع إذا لم تجبهُ أنت من ذا يجيئهُ
بعيد عن الأوطان يبكي بذلة وهل ذاق طعم الذلّ إلا غريئهُ
تصدق على من ضاع منه زمانه ولم يدر حتى لاح منه مشيئهُ^(١)

(٢) فتح الباري (١/٦١) ط المكتبة السلفية ..

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي رحمه الله تعالى - (١٣/٥٤-٥٥) في تعريف الهجرة.

(٤) فتح الباري (١/٩١).

(١) - رائع الشهد (مع الله) جمع وترتيب: سيد بن حسين العفاني (ص٢٧).

مسؤولية المهاجرين العرب:

لقد كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم مع أربعين من صحابته أولاً لله تعالى منطلقاً للإسلام في دولته أخيراً من فرنسا إلى الصين أكبر دولة في تاريخ البشرية القديم والحديث...، وبالمقابل إذا اتقى المهاجرون الله تعالى في هجرتهم أفادوا بعلمهم وبحركتهم الناس أجمعين، وكانوا منطلقاً للإسلام كل الإسلام سواء الإيماني، أو السياسي أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو الأمني.

ولابد أن أُحْمَل المسؤولية في العصر الحديث، بل إن الله تعالى حملهم المسؤولية عن العمل لانطلاق الإسلام في كل حين وصدق الله العظيم: **(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)** [الزخرف ٤٤] - لقد قام العرب المسلمون سابقاً بكل هذه المسؤولية، فنشروا الإسلام في دولتهم الكبرى وفي غيرها متحملين كل المسؤوليات عن الإسلام وهداية الناس إليه.

وإنه لمن دواعي الأسف الشديد أن لا يعلم العربي المسلم قدره في العصر الحديث، قدره وهو الذي نشر الإسلام لأول وهلة في التاريخ في دولة تمتد من فرنسا إلى الصين، وهو عن طريق حضارته نشر الإسلام في إندونيسيا وماليزيا، ونشر الإسلام في السودان ودول أفريقيا.

أنت أيها العربي المسلم المهاجر تجهل نفسك، وتجهل أنك تفهم القرآن والسنة لأول وهلة بنسبة عالية، وتفهم كذلك كتب الإسلام والإيمان... ولك ماض عريق في هجرة الله تعالى ونصر دينه في الآفاق ورحم الله تعالى شاعرنا هاشماً الرفاعي عندما يخاطب العربي المسلم في محيط العالم الحديث المضطرب قائلاً:

أيها السائر بين الغيِّه^(٢)
ضارباً في لُجَّةٍ غامضةٍ
لا تَقِفُ حيرانَ مَشْبُوبِ الأسي
أنت في الدنيا نماءً هائلٌ
أنت لا تعرف مَنْ أنت ولم
عُدْ لتاريخك وأنشد قيساً
لم يزل في خاطري أن الذي
كيف لا أذكرُ أجداداً لهم
وجواداً قبلت حافرهُ
وملوك الصين تُهدي تربيها
أي روح من هداها انجست
أي إشراقه نفس رفعت
إنها قصةٌ بعثت كتبت
نهضةً بالدين شادوا صرحها
أعرفت الآن معنى أن ترى
عرف الإسلام، ما غايته
فمشى بالكأس مسموماً وكم

عائر الخطو جليّ التعب
من محيط العالم المضطرب
هكذا نهياً لشتى الريب
مشرق الماضي عريق النسب
تقرأ التاريخ يا ابن العرب
من سناً بدد ليل الحُقب
قووض الرومان بالرمح أبي
فتكة الإعمار عند الغضب
لجة البحر تجاه المغرب^(٣)
لقتاناً في صحاف الذهب
هذه الأضواء مثل الشهب
هذه الأمجاد فوق الكوكب
بحروف من سناً، من لهب
ثابت الركن قوي الطنب^(٤)
حاقداً يلبس جلد الثلب
ما الذي يحمل للمغتصب
يشهد الليل ديب العُرب

(٢) الغيِّه: الظلمة والجمع غياهب.

(٣) يشير إلى ما روى منسوباً إلى القائد المسلم عقبة بن نافع الفهري إذ خاص بقوائم فرسه شاطئ الأطلسي بعد فتوح المغرب وهو يقول: اللهم لو أني أعلم أن وراء هذا البحر يابسة لا تقحمت هذا الهول المائج لأنشر اسمك العظيم في أقصى بقاع الدنيا.

(٤) الطنب: حبل الخباء.

همه أن يُصَبِّحَ العربُ بلا عاصمِ كالدينِ عندَ النوبِ^(٥)
أمةُ العربِ بخيرِ طالما هي في إسلامها لم تتكَبِ^(٦)

المشكلات العالمية وانتشار الإسلام:

إن على المهاجرين في عصرنا الحديث ان يدركوا أن هنالك مشجعات على الدخول في الإسلام من قبل الغربيين في وقتنا الحاضر، وذلك لما في البشرية من مصائب بسبب جاهلية عصرنا في الزنا والربا وأكل لحم الخنزير. نعم حلت أمراضٌ جنسية كالإيدز، فخاف الغربي من الزنا، فضعف اتباع الشهوات بالباطل.

وكذلك هذه الأزمة الاقتصادية العالمية وخاصة إفلاس البنوك الربوية، لقد لفت هذا نظر كثير من الناس نحو النظام الاقتصادي الإسلامي، فلم يفلس أي بنك إسلامي، وبالمقابل أفلس في الولايات المتحدة الأمريكية عشرات البنوك كانت من أقوى البنوك العالمية الربوية^(٧).

لقد صرح بابا الفاتيكان سابقاً: (إن محمداً ليس عنده عمل إنساني) والآن صرحت كنيسة الفاتيكان: ((إذا أراد الغرب التخلص من الأزمة المالية فعليه بنظام التمويل الإسلامي)) علماً أن نظام التمويل الإسلامي مستقى من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

(٥) النوب: المصائب.

(٦) مختارات من قصيدة بعنوان دين وعروبة من ديوان هاشم الرفاعي (ص ١٨٩).

(٧) أما الآن فعدد البنوك التي تعاني من مشكلات على قائمة المؤسسة في الربع الأول من هذا العام ٣٠٥ بنكاً ووصل حكم أصول تلك البنوك إلى (٢٢٠) مليار دولار في الربع الأول، علماً ان البنوك التي انهارت ٥٣ بنكاً في العام الجاري جراء الأزمة المالية وهو ضعف العدد الذي سجل في عام ٢٠٠٨م كله في موقع قناة الجزيرة الأربعة في ٢٠٠٩/٧/١٥م وعنوان المقال ٥٣ بنكاً منهاراً بأمريكا.

وأخيراً ظهرت أنفلونزا الخنازير، وأخافت العالم كله أما الإسلام والقرآن فقد حرم لحم الخنزير والمسلم لا يتناوله ...
هذه التأثيرات العالمية الجنسية والاقتصادية والغذائية المرضية لفتت نظر العالم إلى الإسلام، فواجبنا عرضه بما يناسب عقلية المدعو إلى الإسلام وواقع العالم...
والذي أتوقعه والله أعلم - هو استمرار الأزمة المالية، بل اشتدادها، ذلك لأن مسبباتها مستمرة وذلك في الحروب والربا وسيطرة الرأسماليين وظهور بعض الوعي من الذين وضعوا أيديهم على ثروات المسلمين الطبيعية، كل ذلك يدفع المهاجرين ممن يهتمهم أمر الإسلام إلى نشر دينهم أكثر وأكثر...
انطلاقة الإسلام قادمة:

أعرف أن ابن خلدون من أكبر علماء الاجتماع في العالم بل إن كتابه / مقدمة ابن خلدون / يستحق جائزة أعظم كتاب لمؤلف بشري على مستوى العالم فيما طرح.

إن ابن خلدون توقع بزوغ دولة إسلامية قوية، وكان له ذلك ببزوغ الدولة العثمانية التي بسطت نفوذها في رومانيا وبلغاريا واليونان والبوسنة والهرسك، بل امتدت من أسوار فيينا غرباً إلى إيران شرقاً، ومن البحر الأسود شمالاً إلى البحر العربي جنوباً... وكانت لهذه الدولة أمجاد إسلامية، لكنها ضعفت في آخر أيامها لدخول يهود الدونمة المنافقين الهدامين بها ولعدم أخذها بالعلوم الحديثة لنهضتها أخيراً...

والله أعلم اشترأبت أعناق الأمال في ظلّ هذا الوعي الإسلامي والأزمات العالمية وبدأ كسر القيد وجهود العلماء العاملين والمهاجرين الصابرين، لكل ذلك أتوقع أنا الفقير إلى الله تعالى وحده أن يكون للإسلام موقع حضاري رائد ودولة حضارية اتحادية متقدمة - إن شاء الله تعالى -، لكن تقدمها بل

استمرارها هو رهن بأيدي المهاجرين ممن يهتمهم أمر الإسلام في العصر الحديث، لأنهم حملة العلم التكنولوجي اللازم لبناء دولة حضارية... ولكن هل يصح شرعاً الرجوع من بلد المهجر إلى بلاد المسلمين؟ أما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال ابن العربي: أرض مكة محرمة على المهاجرين^(٨).

قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث: **اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة**^(٩) قال الراوي رثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن توفي بمكة، وذكر البخاري أنه هاجر وشهد بدرًا ثم انصرف إلى مكة، ومات بها وقال ابن هشام إنه هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرًا وغيرها، وتوفي بمكة في حجة الوداع سنة عشر، وقيل سنة سبع في الهدنة، فعلى هذا يكون سبب يؤسه سقوط هجرته لرجوعه مختاراً وموته بها^(٩).

لقد رأيت في بعض الكتب المعتمدة جواز رجوع المهاجر بعد الصحابة إلى بلده إذا أخرج بالقوة وأمن على نفسه وعرضه وماله وأهله، ولكنى الفتوى - وهي تنزيل الحكم الشرعي على الواقع - تقدر زماناً ومكاناً وشخصاً، لذلك أرى وجوب رجوع العلماء وأصحاب الأموال في حال قيام دولة تقوم على أساس الإسلام والحضارة الإسلامية إلى فقيه عالم بأحوال عصره.

ذلك لأن قوة الإيمان والثروة والعلم أسس ثلاثة لا بدّ منها لقيام تلك الدولة الحضارية، ولا يكون ذلك إلا برجوع العلماء اللازمين تكنولوجياً إلى أرض المسلمين، ولم تتقدم الصين واليابان إلا بعد رجوع العلماء من أبناء هاتين الدولتين إليهما...

(٨) تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي الأنصاري (٢٩٩/١٢).

(٩) الحديث رواه البخاري (٣٩٣٦/٣١٦/٧) ورواه مسلم (٧٩/١١) شرح صحيح مسلم للنووي) وانظم التعليق من

شرح صحيح مسلم للنووي (١١/٧٩-٨٠).

وسقوط الدولة العثمانية بعد مئات السنين كان للضعف العلمي الحديث، بل المطلوب تهيئة الأجواء الملائمة لإقامة العلماء ولو في أحياء خاصة، وذلك للضرورة والحاجة الملحة إليهم وإلا فإن أي أمة لا تقوم على العلماء، فإنها آيلة للسقوط لا محالة، فكيف إذا ولدت دولتها وفيها بذور سقوطها وسط عالم يسعى إلى ذلك...؟! إن الرجوع بموالاتة الكافرين حناناً للوطن محرم قطعاً قال تعالى: **(ومن يتولهم منكم فإنه منهم)**.

تربية الأبناء والبنات في ديار الغربية:

عمل أعداء الإسلام ويعملون على طرد النخبة الإسلامية من أرض المسلمين، وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وهم يعملون على إطالة هجرتهم في ديار الغربية حتى يموتوا هنالك، وهم يتوقعون لذلك أجلاً معيناً، بل ويحاولون في ديار الغربية والوطن انحراف الأبناء والبنات عن منهج آبائهم الذين يهتمهم أمر الإسلام، ويكفي لذلك في ديار الغربية تأثرهم بالبيئة من الشارع والمدرسة وسائر أماكن اللقاء المشترك... لكي يرى المهاجر أبناءه في فساد مشين بل في نقد لمنهج الآباء...

لذلك كان على المهاجرين عامة وفي بلاد الغرب خاصة تأمين البيئة الطيبة لأبنائهم، وإلا ضاعوا أو ضعفت شخصياتهم بالانعزال والانكفاء.

أمّا شكل هذه البيئة فإنها تختلف في تكوينها بين بلد وبلد، فقد تكون نادياً رياضياً مناسباً، أو جمعية خيرية أو مركزاً إسلامياً.. أو مدرسة مناسبة... إلى غير ذلك وقد يضطر لذلك للسفر ولو بتقليل مورده المالي قليلاً، فمن خسر أبناءه وبناته في ديار الغربية فقد خسر كل شيء، وتحققت مؤامرة الجاهلية عليه في الوطن وفي ديار الغربية...

إن الواجب تجاه الأبناء والبنات تبين ماهية الإسلام وأحكامه اللازمة لهم ومطالبتهم بالحسنى بتحقيقها قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)** [التحریم: ٦] **فعن علي كرم الله وجهه - أدبوهم وعلموهم^(١٠)** - ولا يشترط أن يربي الأب ابنه وبنته في كل نواحي التربية فكل اختصاصي، ولكن يأخذهما إلى المربين والمربيات بشتى ألوانهم واختصاصاتهم الدينية والسلوكية.

إن إصلاح عشرة من الأفراد في كل بلدة إصلاحاً يجعلهم أئمة في الهدى والخير والاستقامة هو هو الذي يؤدي إلى استقامة شؤون البلدة ونظافة حياتها الاجتماعية ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم ظل في مكة ثلاثة عشرة عاماً يُعنى بتربية أفراد من أمته، حتى إذا اجتمع له منهم عشرات شرع في بناء الدولة الصالحة والحضارة الصالحة .. في دار هجرته.. إن أبابكر وعمر وعلياً وعثمان وابن مسعود وأمثالهم هم الذين أقاموا صرح الدولة الإسلامية والحضارة العربية المؤمنة المشرقة^(١١).

ومن إصلاح أولاد المهاجرين أن نعلمهم كيفية الحذر من السارقين والمتسترين بالدين بشتى الصور والألوان...

إن تأمين باب للرزق وباب للعلم التكنولوجي لأبنائنا وبناتنا في الغربية مطلوبان، خاصة (ونحن في زمان لا تتال به الدنيا إلا بالدين فحافظ على دنيك حتى لا يذهب دينك) حافظ في هجرتك على دنيا أولادك، ومن أهم المهمات العلم التكنولوجي النافع لوطنهم للنهضة به مستقبلاً ... علمهم حب الوطن وحب العشيرة بذكر المآثر العظيمة العلمية بل الحضارية لأهل الوطن الإسلامي... وعلمهم أن الصهاينة وأتباعهم وأذناب الاستعمار

(١٠) تفسير ابن كثير (٤/٤١٧).

(١١) اخلاقنا الاجتماعية للدكتور مصطفى السباعي (ص٧) ط المكتب الإسلامي.

القديم صنعوا في بلاد الوطن ما لم يصنعه أحد... فخذ طريقك
للحياة وللوطن يا ولدي يقول الشاعر هاشم الرفاعي رحمه الله
تعالى في هذا المضمرة:

أنا يا بني غداً سيطويني الغسقُ
لم يبقَ من ظلِّ الحياةِ سوى رَمَقِ
وحطامِ قلبِ عاشٍ مشبوبِ القلبِ
جفت بهِ آمالهُ حتى اختنقُ
مأسأتنا مأساةً ناسٍ أبرياءِ
وحكايةً يغلي بأسطرها الشقاءُ
حملت إلى الأفاق رائحةَ الدماءِ
وجريمتي كانت محاولةَ البقاءِ
أنا ما اعتديتُ ولا ادخرتُك لاعتداءِ

لكن لثأرٍ نبغُهُ دام.. هنا
بين الضلوع جعلته كلُّ المنى
وصبغتُ أحلامي به فوق الهضابِ
وظمئتُ عمري .. ثم متُّ بلا شرابِ

كانت لنا دارٌ، وكان لنا وطنُ
ألقتُ به أيدي الخيانةِ للمحنِ
وبذلت في إنقاذه أغلى ثمنِ

تلك الربوعُ هناك قد عرفتُك طفلاً
يجني السنا والزهر حينَ يجوبُ حقلاً
فاضت عليك رياضُها ماءً وظلاً
واليوم قد دَهَمَتْ لك الأحداثُ أهلاً
ومروجك الخضراء تَحْيِي الهَامَ ذُلاً

هم أخرجوك فَعُدْ إلى من أخرجوك

فهناك أرض كان يزرعُها أبوك

قد ذقت من أثمارها الشهد المذاب

فإلامَ تتركُها لألسنةِ الحِرابِ؟

إن جئتَها يوماً وفي يدك الريّاحُ (١)

وظلّعتَ بين ربوعها مثل الصّباح

فاهتفُ على سمعِ الرّوابي والبطّاح

إني أنا الأمس الذي ضمّدَ الجِراح

لبيك يا وطني العزيزَ المستباح

أو لستَ تذكُرني؟ أنا ذاك الغلام

مَن أحرَقوا مأواه في جُنحِ الظّلام

بلهيبِ نارٍ حولَها رقصُ الذّئاب

لُفّت حَيّاتي بالدُّخانِ والضباب

لا تبكينَ ، فما بَكَتْ عينُ الجنّاه

هي قصةُ الطغيانِ مِن فَجْرِ الحياه

فارجعْ إلى بلدِ كنوزِ أبي حصاه

قد كنتَ أرجو أن أموتَ على ثراه

(١) للأمانة العلمية بدلت هذه الكلمة لحكمة...

من لوازم المهاجرين والغرباء في عصرنا:

١ - إن هذه الميزة لمهاجري عصرنا إذ يحشرون ونورهم كنور الشمس ينبغي الحفاظ عليها بالإخلاص لله تعالى وعدم الردة وترك النعرات الجاهلية بالانحياز إلى الإقليم أو البلد أو الجنس باختيار العاملين للإسلام للشورى أو التنفيذ وإلا فإن أهل هذه النعرات يحملون جاهلية منتنة خبيثة - عافانا الله تعالى - .

٢ - يجوز رجوع المهاجر الذي أخرج بالقوة إلى بلده المسلم بشرط أن يأمن على دينه ونفسه وعرضه وماله وأهله وولده، والفتوى بشرطها تقدر زماناً ومكاناً وشخصاً ومصحة الدعوة لله تعالى... فارجع إلى فقيه بها...

٣ - إن على الغرباء الذين يعصيهم أكثر ممن يطيعهم أو يصلحون عند فساد الناس أن يقوموا بالدعوة الفردية لله تعالى بعد دراسة أمنية وتفاضلية ودينية وشخصية للمدعو فقد أنزل الله تعالى في العهد المكي قوله:

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ

تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ] [سبأ: ٤٦] ثم لا بد من

الدعوة الجماعية في صلاة الجمعة بالعيدين وغير ذلك لكن الدعوة الفردية هي حصاد الدعوة الجماعية وترسيخ لها.

٤ - سعة الرزق التي يمن بها الله على المهاجر في سبيله ينبغي أن يدفع ما وجب منها لأهل وطنه ودينه وسائر المستضعفين.

٥ - المنعة وهي المراغمة ينبغي للمهاجر أن لا يغفلها بل يستفيد منها في الدفاع عن دينه ووطنه ودعوته لله تعالى سواء في بلاد المهجر أو في سائر بلاد المسلمين والعالم، لأن العالم أصبح قرية واحدة مع وسائل الاتصال الحديثة التي أمنت السرعة والله يقول: **(فاستبقوا الخيرات)** .

٦ - إن الغرباء ممن أسلموا في بلاد غير المسلمين يحتاجون منا إلى الدعم المعنوي والتعليمي والعملي، وحتى أحياناً المالي ليشعروا بالأنس بأخوة الإسلام، فتخف آلام غربتهم بل تكاد تتلاشى ... ولا يد من إيصائهم دائماً بالحق والصبر والرحمة...

٧ - إن المال والشهوة الجنسية فتنتان شديدتان يزول خطرهما بالبقاء مع المؤمنين المهاجرين، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

٨ - ينبغي نزع فتيل الخلاف وزرع الأخوة والمحبة بين المهاجرين والأنصار **(أهل البلد الأصليين)** كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

٩ - ينبغي وضع الشخص المناسب في المكان المناسب له دون تأثر بنعرة إقليمية أو بلدية أو قومية، سواء كان هذا الشخص استشارياً أو تنفيذياً في أي منصب يمكن ان يفيد به وإلا اضطرب المسير وبدأ التراجع...

١٠ - قال تعالى: **(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)** فعلى العرب مسؤولية كبرى في نشر الإسلام وتربية الناس

عليه وليس هذا عنصرية، بل تحمل للمسؤولية التي كفهم
الله جلّ جلاله بها...

١١- إن التضرع إلى الله تعالى والأنس به والدعاء بأن يجبب
إلينا أرض المهجر والأصحاب المخلصين خير مثبت
للمهاجر...

١٢- إن حوادث العالم المريعة في الأزمة الاقتصادية التي نتوقع
أقصى منها، وفي الأمراض الجنسية من الزنا وأنفلونزا
الخنزير المحرم أكلها كل ذلك يفسح المجال لك أيها المسلم
للتحرك لتبيان الحل الإسلامي لكل ذلك... ثم بعرض
الإسلام كله على المدعو.

١٣- توقع ابن خلدون في زمانه ظهور حضارة إسلامية في دولة
قوية، فكانت الدولة العثمانية إن شاء الله التي أنهكها بعد
مئات السنين الضعف العلمي الحديث، ونحن نتوقع بزوغ
حضارة إسلامية في دولة قوية فلند وأنت خالع عنها بذور
دمارها، وذلك بتعليم أولادك ما يلزم لها من علم إسلامي
تكنولوجي حديث..

١٤- لابد من تهيئة البيئة الإسلامية للأجيال الصاعدة في مدرسة
إسلامية أو مركز إسلامي أو نادٍ رياضي إسلامي أو جمعية
خيرية إسلامية، ولو اضطر الآباء للسفر...

١٥- لا يكفي أن تعلم أولادك الخير في بلاد المهجر، بل ينبغي
أن تحذرهم احتيالي المنافقين بشكل مدروس والمستترين
بالدين لنيل الأموال بل سرقتها... وتعلمهم وطريقة الأعداء

- الخطيرة في تثبيط المؤمنين ... وطرق شياطين الإنس للسيطرة عليهم وعلى بلادهم .
- ١٦ - أن تسعى جاهداً لتؤمن لأولادك مصدر رزق في حياتك ومن بعدك وادع: اللهم اجعلهم أغنياء شاكرين.
- ١٧ - لم تحسم الحرب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم الخلاف مع كفار مكة، ولكن حسمها صلح الحديبية الفتح المبين فانتشر الإسلام، فالحرب هي آخر الدواء كالكي، والجهاد قد يكون بجهاد الإنسان لنفسه لجهاد للشهوات والأهواء قال تعالى في ذلك: **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا)** [العنكبوت: ٥] ويكون الجهاد بجهاد المنافقين بكشفهم والحذر منهم وكذلك جهاد شياطين الإنس والجن.
- ١٨ - الجماعات الإسلامية في الغربية هي انعكاس لكل من الاستطاعة ثم الفداء، وكل له حكمته، ومع الإخلاص يكمل بعضها بعضاً، فتواصل مع كل مسلم في غربتك في المناسبات الدينية كالأعياد.. والزواج.. إلخ، ولا تُجرِّح...
- ١٩ - وأخيراً إن المقال السابق انتشر الإسلام بكل بيت في العالم وبشارة النبي صلى الله عليه وسلم به هو من أهم صفات المهاجرين في سبيل الله تعالى للوازمه. لذلك كانت لوازم ذلك المقال هي من لوازم مقالنا الرسول يخاطب مهاجري عصرنا وغرباءه فارجع إليها.

الخلاف الأصولي في جريان القياس في الكفارات والحدود المقدرة

تعلم: أ/ مصعب الشقفة

مقدمة:

يُعدُّ القياس الأصولي من المصادر التبعية في الفقه الإسلامي، فهو يتبع النص كتاباً أو سنة أو إجماعاً، ويقيس الأمور بنظائرها، ويسوي الحكم بين الأصل والفرع، إذا كانت العلة ظاهرة منضبطة قد استكملت مسالكها وشروطها، ولئن عرفَّ الأصوليون القياس: بأنه إحاق ما لم يرد فيه نص على حكمه بما ورد فيه نص على حكمه في الحكم لاشتراكهما في علة ذلك الحكم أو بالتعريف الآخر: وهو تسوية واقعة لم يرد نص بحكمها بواقعة ورد النص بحكمها في الحكم

المنصوص عليه، لتساوي الواقعتين في علة الحكم^(١). إلا أنهم اختلفوا في جريان القياس في الحدود والكفارات بين مؤيد ومعارض لهذا القياس.

فذهب جمهور الفقهاء من الشافعية والحنابلة وغيرهم إلى إثبات الحدود والكفارات بالقياس مستدلين على ذلك بالنص أو مما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من قضايا ونوازل، قاسوا بها النضير على نظيره، والمثيل بمثيله، أو بالمعقول.

أما النص فقد استدلوا بالنصوص الواردة بالتعبد بالقياس، فقد جاءت مطلقة من غير تفصيل، وهو دليل الجواز، لأن الشارع لم يوجب التفصيل فيها، ولو أوجبه لاقتضى ذلك التفصيل البيان، وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع عقلاً وشرعاً^(٢).

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ فقد ذكر الله تعالى هذا البيان في معرض حديثه عن بني النضير، وما جرى لهم من نكال في الدنيا بسبب كفرهم وتآمرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فوجه أنظار المؤمنين إلى أن يتعظوا بما نزل بهم، وبأن يحذروا أن يفعلوا مثل فعلهم، فيحل عليهم من العقاب مثل ما حل بهم، ومعنى الاعتبار (الاتعاض) بما وقع، فهذه الآية تقرر سنة من سنن الله في خلقه، وسنة الله واحدة تجري على الجميع، وأن ما يجري على شيء يجري على نظيره، وأنه حيث وجدت المقدمات توجد النتائج، وحيث تحققت الأسباب تترتب المسببات، وليس معنى القياس إلا هذا، يوضحه أن (الاعتبار) يعني الانتقال من الشيء إلى غيره، لأنه مشتق من العبور، يقال: عبرت النهر، إذا جاوزته بالابتعاد عن هذه الجهة إلى جهة أخرى، وما القياس إلا انتقال الحكم من المقيس عليه إلى المقيس، ولما كان الاعتبار مأموراً به بنص هذه الآية، والقياس فرد من أفراد الاعتبار فيكون القياس مأموراً به والمأمور به واجب، فيكون القياس حجة شرعية ودليلاً معتبراً يلزم العمل بمقتضاه. ولا يقال: إن هذا الاستدلال غير سائغ، لأن الاعتبار معناه الاتعاض. ألا ترى معي أن الاتعاض

(١) انظر: الوجيز في أصول الفقه: د. عبد الكريم زيدان ص ١٩٤. نظرية القياس الأصولي: د. محمد سليمان داود ص ٢٠-٢٣.

(٢) انظر: أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء: د. مصطفى سعيد الخن ص ٥٠٧.

لا يتأتى إلا إذا كان النظير يأخذ حكم نظيره، والمثيل يكون مثل مثيله، كما لو قيل: إن فلاناً فصل من وظيفته لخيانته، فاتعظوا أيها الموظفون. فلا معنى لهذا الكلام إلا إذا حمل على أن من يفعل فعل الموظف المفصول يفصل، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٣).

ولنا في حجية القياس من السنة المطهرة، حديث معاذ المشهور -لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى اليمن- وسأله بم تقضي؟ أجاب معاذ: بالكتاب ثم بالسنة ثم بالاجتهاد، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب، وما القياس إلا ضرب من ضروب الاجتهاد بالرأي.

وفي السنة آثار كثيرة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم نبّه إلى القياس ودل على صلاحيته لاستنباط الأحكام ومآخذ الاستدلال، ومن ذلك ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله، صنعتُ اليوم أمراً عظيماً، قبلتُ وأنا صائم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أرأيت لو تميمضت بالماء؟ فقال: لا بأس، قال صلى الله عليه وسلم: فمه)^(٤)، أي فماذا عليك، أي حسبك هذا.

وفي رواية للنسائي: (قال رجل يا نبي الله: إن أبي مات ولم يحج فأحج عنه؟ قال: أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه، قال: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى)^(٥). فدلّ الحديث على قياس دين الله على دين العباد في وجوب القضاء، فكما يجب قضاء الدين الخاص بالعبد من الغير ويكون مجزئاً فكذلك يقضى دين الله من الغير ويكون مجزئاً.

ولقد وردت عن الصحابة آثار ناطقة باستعمالهم الرأي والقياس فيما لا نص فيه، وقد ثبتت مناظرتهم ومشاورتهم وإكثارهم من القياس، فمن ذلك: أنهم قاسوا إمامة أبي بكر وخلافته رضي الله عنه لرسول الله عليه السلام على إنابته له في الصلاة في مرضه الأخير، وقالوا: رضي الله عنه رسول الله لأمر ديننا أفلا نرضاه لأمر ديننا؟

(٣) انظر: الوجيز ص ٢٢٠-٢٢١. أصول التشريع الإسلامي: للأستاذ علي حسب الله ص ١٢٩.
(٤) أخرجه أحمد وأبو داود من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (انظر سبل السلام ٥٦٨/٢).
(٥) سنن النسائي ٤/٢.

وقاس أبو بكر رضي الله عنه الزكاة على الصلاة وقال: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة^(٦).

وقد قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن سمرة بن جندب أخذ من تجار اليهود الخمر في العشور وخللها وباعها، فقال: قاتل الله سمرة أما علم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوهما (أذابوها) ثم باعوها فأكلوا أثمانها)**^(٧). ففاس عمر الخمر على الشحم، واعتبر تحريمها تحريماً لثمنها، ولو أردت أن أعرض ما ورد عن فقهاء الصحابة في استعمال القياس فيما لا نص فيه لطل الحديث وتشعبت مسائله، وأكتفي بهذا القدر. وأما المعقول فإن القياس مغلب على الظن، فجاز إثبات الكفارة والحد به لقوله عليه الصلاة والسلام: **(نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)**، وهو كخبر الواحد في إفادة الظن، فكما يعمل بخبر الواحد يعمل بالقياس^(٨).

وذهب الحنفية إلى عدم إثبات الحدود والكفارات بالقياس وعللوا ذلك بأدلة منها:

١- أن الحدود والكفارات من الأمور المقدرة التي لا يمكن تعقل المعنى الموجب لتقديرها، والقياس فرع تعقل علة حكم الأصل، فما لا يعقل له من الأحكام علة، فالقياس فيه متعذر كما في أعداد الركعات، وأنصبة الزكاة ونحوها.

٢- أن الحدود عقوبات، وكذلك الكفارات فيها شائبة العقوبة، والقياس مما يدخله احتمال الخطأ وذلك شبيهة، والعقوبات تدرأ بالشبهات، لقوله عليه الصلاة والسلام: **(ادروا الحدود بالشبهات)**.

٣- أن الشارع قد أوجب حد القطع بالسرقعة، ولم يوجب بمكاتبة الكفار مع أنه أولى بالقطع، وأوجب الكفارة بالظهار لكونه منكراً وزوراً، ولم

(٦) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر: لابن قدامة ص ١٤٨.

(٧) انظر: أصول الفقه الإسلامي: د. بدران أبو العينين بدران ص ١٥١.

(٨) انظر: الإحكام في أصول الأحكام: للامدي ٨٢/٤-٨٤.

يوجبها في الردة، مع أنها أشد في المنكر وقول الزور، فحيث لم يوجب ذلك فيما هو أولى، دل على امتناع جريان القياس فيه^(٩).

وننتج عن الخلافة الأصولية في إثبات الحدود والكفارات بالقياس عدة مسائل منها:
١ - وجوب الكفارة على القاتل العمد:

ذهبت الشافعية إلى وجوب الكفارة على قاتل النفس عمداً بالقياس على المخطئ، لأنها إذا وجبت في قتل الخطأ ففي العمد أولى، لأنه أكبر جرماً وحاجته إلى تكفير الذنب أشد، وهذا القول رواية عن أحمد. وذهب الحنفية إلى أنه لا كفارة على قاتل العمد إذ لا قياس في الحدود، وهو قول مالك، وهو القول المشهور وفي مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

وأيد ابن قدامة هذا الرأي بمفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾، وبما روي أن سويد بن الصامت قتل رجلاً فأوجب النبي صلى الله عليه وسلم القود، ولم يوجب فيه كفارة، وبالقياس على الزاني المحصن قالوا: إنه فعل أوجب القتل، فلا يوجب كفارة كالزاني المحصن^(١٠). وأرى أن رأي الحنفية ومن وافقهم أرجح في هذه المسألة، فقد وجه الشافعية قياسهم إلى حد ثابت بالنص القرآني والسنة المطهرة، وكان الأحرى بهم أن يوجهوا إثبات الحدود والكفارات بالقياس إلى مسائل لم يرد فيها نص، بدل القياس على نص ثابت.

٢ - تعدد الكفارة بتعدد الإفطار بالوطة في أيام رمضان:

ومما فرع على الاختلاف في هذه القاعدة. تعدد الكفارات إذا تعدد الإفطار بالوطة في أيام رمضان، فقد أجمعوا على أن من وَطِئ في يوم من أيام رمضان ثم كفر، ثم وَطِئ في يوم آخر أنه يجب عليه كفارة أخرى. وأجمعوا أيضاً على أنه من وَطِئ مراراً في يوم واحد فليس عليه إلا كفارة واحدة.

(٩) انظر: الأحكام: للأمدى ٨٢/٤-٨٤. فواتح الرحموت: للأصاري ٣١٧/٢.

(١٠) انظر: المغني: لابن قدامة ٥١٤/٨. مغني المحتاج: للشربيني ١٠٧/٤.

واختلفوا فيمن وطئ في يوم من رمضان. ولم يكفر حتى وطئ في يوم ثان، فقال مالك والشافعي وجماعة عليه لكل يوم كفارة، وعللوا ذلك بأن كل يوم عبادة مستقلة، فهما كرمضانين وحجتين.

وذهب أبو حنيفة إلى أنه تجزئه كفارة واحدة، وهو مذهب أحمد، وقالوا: إنها جزاء جنائية تكرر سببها قبل استيفائها فيجب أن تتداخل كالحمد، وتفصيل ذلك، أن الكفارة إنما تجب في الإفطار الأول عقوبة على هتك حرمة الشهر، فإن تكرر منه الهتك قبل أداء الكفارة حصل المقصود وهو الانزجار بكفارة واحدة، فتمكن شبهة فوات المقصود في الثانية فتتداخلان كما لو زنى مراراً أو شرب مراراً فإنه يكتفى بحد واحد بخلاف ما لو كفر للأولى، ثم أفطر ثانياً لعد حصول المقصود وهو الانزجار بالأولى، فصار كما لو زنى فحد ثم زنى.

أما حجة الشافعي رحمه الله: أن الإفطار الأول بالوقاع موجب للكفارة بالإجماع، والثاني أولى أن يكون موجباً لها، لأن الأول كان ذنباً بلا إصرار، والثاني: ذنب مع إصرار، فإذا كان الذنب بدون إصرار موجباً للكفارة فمع الإصرار أولى^(١١).

ويبدو لي رجحان مذهب الإمام الشافعي في هذه المسألة، لأن كل يوم عبادة مستقلة تسقط من عهدة المكلف إذا أداها، ألا ترى أن المسافر والمريض يقضي بعدد الأيام التي أفطرها ولا يعيد الشهر كله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١٢) ولهذا تتعدد الكفارات بتعدد الوطء في أيام رمضان، أما ظروف التخفيف وتكرار الجنائية قبل استيفائها مما يؤدي إلى تداخل العقوبة، فهي من اختصاص الحاكم لا من اختصاص المشرع، وهو باب واسع في السياسة الشرعية.

فإذا وجد الحاكم أن الانزجار يحصل بعقوبة واحدة كان له ذلك، وإذا وجد أنه لا يحصل إلا بتعدد العقوبات كان له ذلك، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: **(جاء رجل إلى النبي**

(١١) انظر: المغني: لابن قدامة ٣/١٢٠. الدراسات الفقهية: للشيخ خالد الشقفة ص ٤٧٢. تخريج الفروع على الأصول: للزنجاني ص ٥٧. الفقه الإسلامي: للدكتور إبراهيم سلقيني. الغرة المنيفة: للغزوي ص ٦٧-٦٨.
(١٢) سورة البقرة آية (١٨٤).

صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان، فقال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال: لا، قال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً، قال: لا، ثم جلس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر، فقال: تصدق بهذا، فقال: أعلَى أفقر منا؟ فما بين لابتيتها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك، رواه السبعة واللفظ لمسلم^(١٣).

٣ - قطع يد نباش القبور:

ومما فرع على ذلك قطع يد النباش قياساً على السارق وإلى القطع ذهب الشافعية والحنابلة ومالك، والجامع بينهما أخذ المال خفية من حرز، وذهب أبو حنيفة ومحمد إلى أنه لا قطع في النباش، لأن القبر ليس بحرز. قال في الهداية: لا قطع على النباش، وهذا عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله، وقال أبو يوسف والشافعي رحمهما الله: عليه القطع، لقوله عليه الصلاة والسلام: **(من نبش قطعاها)**، رواه البيهقي، ولأنه مال متقوم محرز مثله فيقطع فيه، ولهما قوله عليه الصلاة والسلام: **(لا قطع على المختفي)** وهي النباش بلغة أهل المدينة، ولأن الشبهة تمكنت في الملك لأن لا ملك للميت حقيقة، ولا للوارث لتقدم حاجة الميت، وقد تمكن الخلل في المقصود وهو الانزجار لأن الجناية نفسها نادرة الوجود، وما رواه أي الشافعي غير مرفوع، أو هو محمول على السياسة، وروي أن علياً رضي الله عنه أتى بنباش فعززه ولم يقطع يده، ووافقه ابن عباس رضي الله عنهما، والحديث الذي استدل به الشافعي على قطع يد النباش وهو قوله عليه الصلاة والسلام: **(من نبش قطعاها)** غير مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو موقوف على معاوية بن مرة ولم يرفعه أحد، وقيل هو من كلام زياد بن

(١٣) سبل السلام ٥٧٦/٢-٥٧٧.

أبيه ذكره في خطبته، ولئن سلمت صحته فهو محمول على السياسة بدليل أن فيه: «ومن غرق غرقناه، ومن حرق حرقناه، ومن نبش دفناه حياً، ومن نكب نكبنا عن كبه» ومعلوم أن هذه الأحكام غير مشروعة إلا سياسة. ثم إنه متروك الظاهر لأنه علق فيه بالقطع بمجرد النباش، وبالإجماع ليس كذلك، فإن نبش ولم يأخذ لا يقطع، أما الحديث الذي استند عليه الأحناف فقد أورده صاحب الهداية ولم يخرجها، بل قال: إنه غريب^(١٤).

والذي يبدو لي أن هذه القضية من السياسة الشرعية يقدر فيها الحاكم مصلحة المجتمع وصيانة المواطنين أحياءً وأمواتاً. فإذا استشرت هذه العادة في المجتمع وجب القطع للانزجار وكف العبث بحرمة أموات المسلمين وإلا فلا، ويعذر النباش كل على حسب جرمه إذا كانت الحوادث نادرة، والله أعلم.

ومن كل ما تقدم، يبدو جلياً أن القياس يجري في الحدود والكفارات، فقد جرى القياس في عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، عندما تشاوروا فيما بينهم في حد شارب الخمر، فقام الإمام علي حد الشرب على حد القذف، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة فيما أعلم.

روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه أن أهل الشرب كان يضربون على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالأيدي والنعال والعصي حتى توفي فكان أبو بكر يجلد أربعين حتى توفي، إلى أن قال: فقال عمر رضي الله عنه: ماذا ترون؟ فقال علي رضي الله عنه: إذا شرب سكر وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، وحد المفترى ثمانون^(١٥).

وإذا كان الغرض من تشريع الأحكام تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، فهي الحكمة المقصودة من التشريع، ومما يتفق وهذا الغرض الأخذ

(١٤) انظر: المغني: لابن قدامة ١٠٩/٩. التمهيد: للإسنوي ص ١٤١. الغرة المنيفة: للغزوي ص ١٦٤-١٦٥.
(١٥) سبل السلام ٤٤٣/٤-٤٤٤.

بالقياس، لأنه ليس إلا تعديّة الحكم الوارد في واقعة معينة إلى الوقائع المماثلة المشتركة معها في العلة، وهذا ما يقتضيه عدل الرب وحكمته، ويتفق ومنهج الشريعة في تشريع الأحكام، فليس من مسلكها تحريم الشيء وإباحة نظيره، أو إباحة الشيء وتحريم نظيره، ولأن النصوص من كتاب أو سنة -متناهية قطعاً- ووقائع الناس غير متناهية، فلا يمكن أن يحيط المتناهي بغير المتناهي - إلا إذا وضعنا قواعد وأصولاً يمكن البناء عليها والتفرع منها مستمدة من تلك النصوص، ولاحظنا العلل والمعاني التي تضمنتها النصوص أو أشارت إليها أو أمكن استنباطها منها، وأعطينا الحكم المنصوص عليه لكل واقعة تتحقق فيها علة الحكم، وبهذا النهج لا تضيق الشريعة بأي واقعة جديدة أو نازلة مستحدثة لم تقع من قبل، ولم يرد نص بحكمها^(١٦).

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن أبا حنيفة رحمه الله مع قوله إن القياس لا يجري في الحدود والكفارات فقد قاس في الكفارات بأن أوجب الكفارة في الإفطار بالأكل والشرب، كما هي واجبة في الإفطار بالجماع، وأوجب الكفارة في قتل الصيد الخطأ، كما أوجبها في قتله عمدًا في الحرم. وقال الإسنوي في ذلك: «واعترضت الحنفية عن هذه الأمور بما لا ينفعهم، فإن حقيقة القياس قد وجدت في هذه الأشياء، ولقد عللوا ذلك بأنه من باب تنقيح مناط الحكم، لا في باب القياس في الكفارات»^(١٧). ولقد ناقش الإمام الغزالي تلك المسألة، فمن أراد المزيد فليرجع إلى كتابه المستصفي^(١٨).

وإن كان لا بد من كلمة أخيرة، فإنني أطمع أن يتقارب مسلك الفقهاء مع المتكلمين والذي يساعدنا على ذلك أن مسلك الحنفية في أصول الفقه جاء متأخرًا عن مسلك الشافعية، فقد قرروا القواعد الأصولية على ضوء ما ورد عن أئمتهم

(١٦) الوجيز ص ٢٢٣.

(١٧) التمهيد: للإسنوي ص ١٤١.

(١٨) المستصفي: للغزالي ٣٣٤/٢.

من فروع فقهية، فبنوا تلك القواعد الأصولية من فروع مذهبهم، وأخذوا يشكلونها على الوجه الذي يجعلها تشمل جميع الفروع، ولهذا كثرت الفروع الفقهية في كتب أصول الحنفية، فمثلاً قالوا: إن اللفظ لا يستعمل في حقيقته ومجازه معاً، والمشارك لا يستعمل إلا في معنى واحد من معانيه، لكنهم وجدوا في فروع مذهبهم أن الابن يحرم عليه التزوج بمن زنى بها أبوه بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، فإن النكاح معناه الوطء، بينما استدلوا بالآية نفسها على حرمة زوجة الأب على ابنه متى عقد عليها الأب مفسرين النكاح بالعقد، والنكاح إما حقيقة في أحد المعنيين مجاز في الآخر، أو مشترك بينهما، لذلك لجأوا إلى تعديل القاعدة الأصولية فقالوا: لا مانع من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه أو معنييه إذا كان مشتركاً متى كان ذلك في سياق النفي، وهذا التعديل لكي لا تتسق القاعدة مع ما نقل عن الأئمة من الأحكام^(١٩).

ولعلنا لا نجد حرجاً فيما نقول: إن الحنفية جرى منهم القياس في الحدود والكفارات، وإن عللوا ذلك بأدلة أخرى. وهذا دليل على جواز القياس في الحدود والكفارات، ألا ترى معي أنه لو وُجد طريقان يوصلان إلى غاية واحدة، ويؤديان نفس الغرض في تحقيق المراد، فلا يصح من عاقل قوله: لا أسلك الطريق الآخر لأنه لا يوصل إلى المراد ولا يحقق الغاية، مع معرفته بالطريقين. فإذا أخذ الفقيه بالدليلين وتوصل إلى نفس النتيجة، فإن المسألة تزداد قوة ومتانة واعتباراً في الشريعة، وبذلك نكون قد فتحنا باباً لا تضيق الشريعة عن الأخذ به والعمل بمقتضاه. والحمد لله رب العالمين.

(١٩) انظر: أصول الفقه الإسلامي: د. بدران ص ١٧. أصول التشريع الإسلامي: للأستاذ علي حسب الله ص ٧.

حماة الشفاء

مدينة الحضارة ورمز الشموخ و الإباء

بقلم: أ. مصعب الشقفة



مدينة حماة من كبرى مدن الشام العريقة، وحاضرة من حواضر العالم العظيمة، امتازت بطبيعتها الخلابة، ومناظرها الجميلة، التي تمنح النفس انشراحاً وانبساطاً، وتأخذ بألباب القلوب محبة ونقاء، يجوس خلالها نهر قديم، يحفر بذاكرته الدهور و العصور، يشطر المدينة إلى شطرين فيحيلهما إلى روضتين جميلتين يسمى هذا النهر العاصي، فقد عصى كل الأنهار وخالفها، فاتجه من الجنوب إلى الشمال، يسقي بنواعيره الدائرة بساتينها وجنانها فيحيلها إلى واحة وارفة الظلال، كثيرة الخضرة و الغلال،



ساعة حماة الأثرية

بهية المناظر و الجلال، وهذه المدينة العريقة، الموغلة في القدم، هي عنوان

الكبرياء، ورمز الشموخ و الفداء، درة الشام، وزهرة المدائن، ما استوطنها غريب إلا أحبها، وما فارقتها حبيب إلا حنّ إلى مراتعها و أرضها، عريقة في صحبة الزمان، عصية على النسيان، أسرت عيون الرحالة فنعتوها بأجمل الأوصاف، و أرق التعابير، و أحلى الكلمات، وهم لم يلبثوا فيها إلا سويحات، ولم يخالطوا أهلها إلا أياماً، فرأوا ما يراه الغريب من حسن الاستقبال، وحقاوة الترحاب، وكرم أهلها و شجاعتهم و نخوتهم التي عرفت عنهم منذ غابر الأزمان، وتمسكهم الشديد بأهداب الدين الحنيف حتى بلغ بهم حد الالتزام الشديد بتعاليمه ومقاصده العامة.

وصفها الرحالة ابن بطوطة الطنجي بقوله: ((حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة، ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق، و الجمال الفائق، تحفها البساتين و الجنان، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات، يشقها النهر المسمى العاصي، ولها ربض سمي بالمنصورية أعظم من المدينة في الأسواق الحافلة و الحمامات الحسان، وبحماة الفواكه الكثيرة، ومنها المشمش اللوزي إذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة)).^(١)

(١) - تحفة النظار في غرائب الأمصار، للرحالة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ص ٨٦.

أصابها زلزال عظيم هائل في منتصف القرن السادس سنة ٥٥٢هـ، أدى إلى خرابها وتدميرها، وقتل عدد كبير من أهلها، تنبه إليها الملك العادل نور الدين الشهيد، فأعاد بناءها، و أعلى ذكرها، وجملها بالصروح الضخمة، و القصور الفخمة، و الأسواق العظيمة، والمدارس الهائلة، و المساجد الجميلة، حتى غدت في عصره من أمهات مدن الشام، ودرة مدائنه، وزاد ملوك بني أيوب في بنائها و إعلاء كعبها حتى أضحت في عصرهم من مراكز الثقافة العربية الإسلامية، وحاضرة من حواضر العالم التليدة وموئلاً للعلماء و الفقهاء، ومقصداً لطلبة العلم ورواده، أغرت الكثير من الزائرين بالإقامة فيها، وذلك لكثرة خيراتها، وطيب هوائها، واعتدال أجوائها، و عذوبة مائها، وشهامة سكانها، ونخوة أعيانها، وحفاوة ملوكها بالعلماء و الأدباء و الشعراء و أصحاب العلوم في كل فن، وشهرة علمائها و فقهاءها و أدبائها الذين ضربت لهم أكباد الإبل، ورحل إليهم الطلبة من أصقاع المعمورة.

ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان بقوله: ((ولها ذكر في التوراة، وهي على ضفة العاصي، مكيمة البناء، ولها سور جليل، وبيوت ملوكها وشرفاتها مطلة على نهر العاصي، وبها القصور الملكية، و الدور الأنيقة، و الجوامع و المساجد، و المدارس و الربط، و الزوايا، و الأسواق التي لا تعدم نوعاً من الأنواع، و بها قلعة منيعة بالحجارة الملونة، و غالب مبانيها العلية، و آثار الخير و البر باقية فيها، من فواضل نعم الدولة الأيوبية وبها نواعير مركبة على العاصي، تدور بجريان الماء، وترفع الماء إلى الدور السلطانية، ودور الأمراء و الأكابر و البساتين، وفي بساتينها الغراس الفائق، و الثمار الغربية، ولم يكن لها في القديم نباهة ذكر وكان الصيت لحمص دونها، ثم تنبه ذكرها في الدولة الأتابيكية فلما آلت إلى ملوك بني أيوب، مَصَّروها بالأبنية العظيمة، و القصور الفائقة، و المساكن الفاخرة، وتأمير الأمراء وتجنيدهم الأجناد فيها، وعظموا أسواقها وزادوا في غراسها، و جلبوا إليها من أرباب الصنائع كل من فاق في فنه إلى أن كملت محاسنها وصارت معدودة من أمهات البلاد و أحسن الممالك، وهي في غاية رفاهية العيش، إلا أنها شديدة الحر محجوبة الهواء، ويعرض لها في الخريف تغير ينسب به إلى الوحامة، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى في بقية الشام، و إنما يجلب إليها مما يجاورها، وحولها مروج ممتدة، يكثر فيها مصايد الطير و الوحش، وليس بالممالك الشامية بعد دمشق لها نظير، ولا يداينها في لطف ذاتها من مجاورتها قريب أو بعيد.....))^(٢).

طبيعتها الخلابة فتقت قريحة الشعراء في وصفها منذ قديم العصور حتى وقتنا الراهن، و أطلقت مارء الشعر من قممه، يقول الشاعر العراقي الكبير أحمد الصافي:

(٢) - نقلا عن كتاب حماة للأستاذ عبد المجيد الشقفي ص ٧٨-٧٩.

هذي حماة مدينة سحرية
يا ليت شعري ما أقول بوصفها
أنى مشيت فجنة و خمائل
أي المناظر من حماة أصطفي
يا ليت أني كنت فيها طائرا
وبها نواعير متى أبصرتها
تبغي مصافحة السماء إذا علت
تبدي من الأزل الأنين كأنها
تبدي من الأزل الأنين كأنها
تبدي من الأزل الأنين كأنها

وأنا امرؤ بجمالها مسحور
وحماة شعر كلها وشعور
أو أين سرت فأنهر وجسور
وإي كل بالجمال يشير
وعلى المناظر كلهن أطير
أبصرت أفلاك السماء تدور
فيردها شوقاً إليه غدير
منذ البداية عاشق مهجور(٣)
منذ البداية عاشق مهجور(٤)
منذ البداية عاشق مهجور(٥)

ذكرت في العهد القديم باسم حمت الكبرى، و التي ضمت في تبعيتها معظم بلاد الشام، تميزاً لها عن حمت الصغرى في كيليالية، وسكنتها ذرية حام بن آدم عليه السلام، ثم هاجر إليها الكنعانيون و استوطنوها قبل ٢٥٠٠ سنة من الميلاد وعرفت باسم الحثيين. و أما أصل تسميتها فقد اختلف الباحثون و علماء الآثار فيه، لعمق جذورها الضاربة في التاريخ، وقدم آثارها الموعلة في الحضارة ، فقد عثر في موقع العشارنة (شمالي حماة ٣٦ كم) على أقدم المواقع الأثرية في الشرق الأوسط، منها فؤوس يديوية و أدوات صخرية، تعود إلى عصر مندل الجليدي أو إلى العصر الجليدي الفاصل. واسمها ينسب إلى الابن الحادي عشر لأولاد كنعان، بينما يرى أنغولست Angolist أن تسميتها أتت من اسم أول ملك آرامي لها يدعى حماة، وفي اللغة الآرامية معناها الحصى أو القلعة، وحماة من حمت السريانية أو حم العبرانية، تعني سخن أو صار حاراً، ويرى روبنسون Robinson أن اسم حماة قد أطلق على عدة مواقع منها مدينة هيت في العراق، وقد ذكر ذلك في العهد القديم، و على مدينة ربله الواقعة على الحدود السورية اللبنانية حالياً.

صالح أهلها الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سنة ١٧ هـ واتخذت كنيستها العظمى جامعاً للمسلمين، وهاجرت إليها القبائل العربية زمن الفتح وبعده، واستقرت في أطرافها و التي دعيت باسم الحاضر، وكان لهذه الهجرات الأثر الأكبر في التركيب

(٣) - المصدر السابق ص ٢١٦-٢١٧.

(٤) - المصدر السابق ص ٢١٦-٢١٧.

(٥) - المصدر السابق ص ٢١٦-٢١٧.

البشري و القبلي في مدينة حماة وشمالها حيث تعزز وجهها العربي، وتعمقت جذورها الإسلامية^(٦). وكانت أكبر القبائل العربية التي سكنتها، قبيلة قيس المضربية التي طبعت المدينة بطابعها و طباعها، حتى أضحت كلمة قيس مرادفة لكلمة حموي، بالإضافة لقبيلة كنانة و خزاعة و تتوخ و غيرها. ولكن النواة الرئيسية و الصبغة العامة و السمات و الخصائل في حماة طغت عليها القيسية في حين طغت على حمص اليمانية، وفي قيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله قيساً، إنه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم، يا قيس حي يميناً، ويا يمن حي قيساً، إن قيساً فرسان الله في الأرض، و الذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس، إن الله فرساناً من أهل السماء مسومين، وفرساناً في الأرض معلّمين، وفرسان الله في الأرض قيس، و إنما قيس بيضة تفلقت عنا أهل البيت إن قيس ضر الله في الأرض))^(٧) يعني أسد الله. وفي رواية أخرى عن غالب بن حجر قال: ذكرت قيس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((رحم الله قيساً)) قيل يا رسول الله ترحم على قيس؟ قال نعم، إنه كان على دين أبينا إبراهيم خليل الله، يا قيس حي يميناً ويا يمن حي قيساً، إن قيساً فرسان الله في الأرض، و الذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس بيضة تفلقت عنا أهل البيت إن قيساً ضراء الله. وفي الجامع الصغير للسيوطي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((غرة العرب كنانة، وأركانها تميم، وخطباؤها أسد، وفرسانها قيس و لله تعالى من أهل الأرض فرسان و فرسانه في الأرض قيس))^(٨).

و في قيس يقول النابغة الذبياني:

ألا إنّما نيرانُ قيسٍ إذا شتوا لطارق ليلٍ مثلُ نارِ الحبابِ^(٩)

أضحت حماة قاعدة صلبة، و ثغراً متقدماً تجاه الممالك الصليبية المنتشرة في ربوع بلاد الشام، ففتنه لذلك الملك العادل نور الدين الشهيد، فأعلى كعبها، وبنى أسوارها، وزاد في تحصيناتها لتكون شوكة في مواجهة الصليبيين، وإفشال مخططاتهم، وكان لجيشها الفضل الأكبر في الانتصار في معركة حطين حيث أطبقت القوات الحموية على جيش ريموند الثالث صاحب طرابلس بشكل كامل، أدت إلى فراره و قتل المتبقي من قواته^(١٠)، وظلت القوات

(٦) - انظر مملكة حماة الأيوبية للأستاذ عدنان سعد الدين ص ١٣-١٧. مملكة حماة الأيوبية للأستاذ أحمد غسان سبانو ص ٢٤-٢٧.

(٧) - الطبراني وابن منده وابن عساكر عن غالب بن حجر.

(٨) - ذكره ابن عساكر عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٩) - انظر كتاب حماة للأستاذ عبد المجيد الشقفي ص ٢١٩-٢٢١.

(١٠) - الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة ٧٠/٢-٧٥.

الحموية تشكل جهة اليمينة في القوات الإسلامية، منذ زمن الناصر صلاح الدين الأيوبي وحتى زمن المماليك، إذ أصبح من الفأل الحسن بقاء جيش حماة في اليمينة نظراً للانتصارات التي تتحقق في كل معركة يشترك فيها، وهذا ما دعا سلطان المماليك الملك المنصور قلاوون إلى أن يقول لملك حماة المظفر الثالث محمود أنت ولدي و أعز من الملك الصالح عندي، فتوجه لبلادك، وتأهب لهذه الغزاة المباركة، فإنك من بيت مبارك، ما حضرتم في مكان إلا وكان النصر معكم^(١١).

و أبلت القوات الحموية بقيادة ملكها المنصور مع القوات الإسلامية بقيادة السلطان قطز بلاء حسناً في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وكان النصر فيها حليف المسلمين، ولا شك في أن عين جالوت كانت نقطة تحول خطيرة في تاريخ الشرق الأدنى أنقذت مصر و الشام من براثن المغول وخطرهم، وجعلت دولة مغول فارس تقف عند حدود العراق، هذه المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام، جعلت الشاعر الوزير ابن الرفاء يمدح ملك حماة المنصور بقصيدة عصماء يقول فيها^(١٢):

رُعْتَ العدا فضمنت ثلَّ عروشها	ولقيتها فأخذتَ فلَّ جيوشها
نازلت أملاك النثار فَأَنْزِلَتْ	عن فحلها قَسراً وعن إكديشها
فغدا لسيفك في رقاب كماتها	حصد المناجل في بيبس حشيشها
رَوَيْت أَكْبَاد القنا بدمائهم	لما أطال سواك في تعطيَشها
أقدمت مقتحما على نشابها	تكسوا الجياد رياشها من ريشها
دارت رحي الحرب الزبون عليهم	فغدت رؤوسهم حطام جريشها
حتى حفظت على العباد بلادها	في روحها الأقصى إلى أحبوشها

هكذا كانت حماة ولا زالت، لم تهدأ حميتها، أو تذهب سجيتها، أو تخرق قواها أو تضعف إرادتها، فمنذ دخول الفرنسيين سوريا عام ١٩٢٠م وإسقاطهم حكومة فيصل الأول، ظلت حماة مضطربة لا يستقر الاحتلال بها، ففي عام ١٩٢٥م انتفضت مدينة حماة وريفها بثورة كبرى ضد المستعمر الفرنسي بقيادة البطل فوزي القاوقجي، واستولى المجاهدون على المدينة بأسرها، وطردها القوات الفرنسية إلى خارجها، ولم يستطع المحتل أن يقضي على ثورتها إلا

(١١) - المختصر في أخبار البشر ٣٣٢/١ . مملكة حماة الأيوبية ص ٥٤.

(١٢) - الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، للدكتور عمر موسى باشا ص ٣٨٢.

بقصفها جواً، فأغارت الطائرات الفرنسية عليها، وقصفت أحياءها، وهدمت بنيانها، وقتل العديد من النساء و الشيوخ و الأطفال لإجبار أهل المدينة على الخنوع و الاستسلام للمستعمر، وفعلت بدمشق مثلما فعلت بحماة، وفي هذه الحادثة الجلل يقول الشاعر عز الدين التتوخي واصفاً ما حل بدمشق وحماة من جور الاحتلال الفرنسي:

قصف بالمنازل نادباً أطلالها	ماذا يفيدك أن تطيل سؤالها
قد أحرقت عمدا دمشق فلم تعد	تصف الجميلة للورى بجمالها
أعلمت أن حماة لم يدعوا بها	حجراً على حجرٍ يُريك ظلالها
وسوى النواعير التي بنواحها	تبكي حماة نساءها ورجالها

وفي هذه المأساة يقول الشاعر خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام إذ هزت وجدانه مجزرة حماة ودمشق:

النار محذقة بجلق بعدما	تركت حماة على شفير هار
الطفل في يد أمه عرض الأذى	يُرْمى وليس بخائضٍ لغمار
الشيخ متكئٌ على عكازه	يُرْمى وما للشيخ من أوزارٍ
لهفي على المتخلفين برحبها	كيف القرار ولات حين قرار

أما في ثورة عام ١٩٤٥م، و التي أدت إلى جلاء المستعمر الفرنسي عن أرض سورية الحبيبة، فقد سطر المجاهدون الحمويون أروع صفحات البطولة و الفداء، وسيطروا على المدينة و طردوا الفرنسيين خارجها، مما دعا الجنرال باجيت قائد الجيش الإنكليزي إلى أن يقول: نحن أنقذنا جميع المدن السورية من الفرنسيين، و أنقذنا الفرنسيين من أهل حماة. وهذه البطولة و الرجولة التي أبداها أهل حماة أثارت إعجاب الأستاذ فارس خوري رئيس البرلمان السوري لعدة مرات، فقال معجباً بصمود أبناء المدينة و جهاد رجالها:

حماة بها عزُّ العروبة و الندى	لها في مضامير الجهاد مفاخرُ
بها من أطاع الشعب نال كرامة	وفيها على العاصي تدور الدوائر

مما يذكر في هذا المضممار أنّ طه حسين، عندما مر بحماة في طريقه إلى معرة النعمان للمشاركة في إحياء ذكرى أبي العلاء المعري، وقف على أعتاب فندق أبي الفداء الكبير الحكومي، وقال وهو يصعد درجات الفندق: إني أشم رائحة العروبة في هذه المدينة^(١٣).

واشترك المجاهدون الحمويون في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤٠م، ولا زالت قبورهم في مدينة الموصل شاهدة على بطولاتهم وتضحياتهم، وذهبت سرايا المجاهدين من حماة إلى فلسطين لمقاومة العصابات الصهيونية بقيادة البطل سعيد العاص، كما اشترك مجاهدوها في ثورة تحرير الجزائر وفي أغلب الثورات العربية والإسلامية، وسقوا بدمائهم الزكية الطاهرة ربوع وطننا الكبير.

وهذا ليس غريباً على رجال حماة وعلمائها وأعيانها، فقد استشهد الأديب الفقيه الشاعر الحسين بن رواحة الأنصاري الحموي في شعبان سنة ٥٨٥هـ، وهو يدافع عن خيمة الناصر صلاح الدين الأيوبي، عندما اندفع جماعة من الصليبيين يريدون الفتك بالسلطان وقتله، أما الفقيه شهاب الدين الحموي فقد كان في مقدمة الجنود المقاتلين في صد الضربات العنيفة التي وجهها الصليبيون بغتة إلى مدينة حماة سنة ٦٠١هـ، وفي هذا يقول المؤرخ أبو شامة واصفاً ثبات الفقيه وجراته عارضاً لبطولاته وتضحيته: ولولا وقوفه ما أبقوا أحداً من المسلمين.

وهذا الحديث يقودنا إلى ذكر العلوم و المعارف و الآداب و الفنون في حماة، ومعرفة أكابر علمائها وفقهائها و أدبائها، ومراكز العلم فيها ومنشآته، ولو بإلمامة سريعة، لأننا لو أفردنا الحديث في ذلك لاحتجنا إلى مجلدات، فقد كانت حماة ولا تزال من أهم مراكز الثقافة والمعرفة أسوة بحواضر العالم المنتشرة في شرق العالم الإسلامي وغربه، وكانت لمدارسها ومعاهدها العلمية أوقاف دارة على الطلبة و المدرسين ومعيلة لهم، ليتفرغوا لطلب العلم، ويبدلوا في طلبه أقصى الجهد، فقد نقش على باب جامع النوري في الحجر ما يستفاد منه ، أن أحد الملوك وقف على طلبة العلم في حماة خمسة عشر ألف درهم في كل سنة استجلاباً لأدعيتهم و إعانة لهم على طلب العلم، وقد ازدانت المدارس الحموية زمن الأيوبيين وزاد عددها، فهم الذين رعوا بيئتها العلمية، و أولوها عنايتهم واهتمامهم، وشجعوا الحركة الثقافية المعرفية فيها، ورفدوها بنوابغ العلماء و الأدباء و النحاة و الأطباء و المهندسين من شتى بقاع العالم الإسلامي، فمن هذه المدارس التي اشتهرت في كتب التاريخ و التراجم، المدرسة العسرونية و ممن تولى التدريس فيها شيخ الشيوخ تاج الدين بن المغزل الحموي الذي اشتهر

(١٣) - الإخوان المسلمون في سورية للأستاذ عدنان سعد الدين ٧٨/١

بالفقه و العلم و الفتوى و الدين و الورع و العفة، و يوجد مدرستان بحماة أحدهما للحنفية و الأخرى للشافعية، من بناء نور الدين الشهيد في حدود سنة ٥٨٠هـ، و بنى الأيوبيون فيها المدرسة المظفرية و المدرسة السلطانية المنصورية و المدرسة المحمودية و المدرسة المؤيدية نسبة لملكها العالم أبي الفداء عماد الدين إسماعيل، و فيها المدرسة الخاتونية و الطواشية و القرناصية التي بناها الأديب الشاعر و الفقيه العالم مخلص الدين بن قرناص الحموي سنة ٦٥٩هـ، أما المدرسة العزية فهي من بناء الشيخ محمد بن حمزة العزي بجوار جامع العزي في حدود سنة ٧٢٧هـ، و المدرسة السفاحية و الصهيونية ، و الزينية التي بناها العلامة أبو البركات عبد الرحمن بن عبد القاهر بن موهوب الحموي ودفن بها لما توفي سنة ٦٥٩هـ، و مدرسة ابن مشطوب و تنسب للأمير سيف الدين بن المشطوب، و ممن درس فيها العلامة الفتح الجزري، و المدرسة الجلذكية و تنسب للأمير شجاع الدين جلدك، و المدرسة البارزية بناها ابن الولي البارزي بجانب جامع البارزي و جعلها خاصة بتدريس الفقه الشافعي، و المدرسة الأمية و تنسب للأصولي المشهور سيف الدين الأمدي، و المدرسة الافتخارية و النجمية و مدرسة دار الحديث، و دار القرآن التي أنشأها نجم الدين بن توتان بن باروق سنة ٥٨٤هـ، و هناك دار للقرآن أخرى أنشأها العلامة المقرئ محمد بن أبي بكر الشافعي المشهور بابن السمين الحموي، و قد نقش على الحجر في مدخل الدار ((أمر بعمل هذه الدار المباركة السيد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي خلا قبلها و ما استثنى، و جعلها دار قرآن، و وقف عليها أوقافاً كثيرة لتسكن في هذه الديار من فقراء المسلمين الغرباء مقيمين بها ليلاً و نهاراً. يتلون كتاب الله، و يتذكرونه بينهم، و يدعون للواقف ولوالديه و للمسلمين، و قرر بها شيخين يعلمونهم القرآن الكريم. و يكون مقام الفقير فيها مدة خمس سنين فإن ختم القرآن أو مضت المدة المعينة فيكسى ثوباً أو جبة جعلها الله خالصة لوجهه الكريم في شوال سنة خمس عشر و سبعمائة للهجرة)) و لم يقتصر الحمويون في بناء المدارس على حماة بل نجد التاجر الحموي المشهور أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن رواحة ، يبني مدرستين بدمشق و حلب و يجعلهما مخصوصتين لفقهاء الشافعية، و ممن تولى التدريس في الرواحية الشامية ابن الصلاح رحمه الله^(١٤) و أنشأ الملك الغالب فتح الدين صاحب حماة المدرسة الفتحية^(١٥) أما الملك تقي الدين عمر مؤسس مملكة حماة الأيوبية فقد بنى بدمشق المدرسة التقوية وهو الذي أنشأ مدرسة للشافعية في القاهرة و اشترى الروضة، و حمام الذهب

(١٤) - طبقات الفقهاء الشافعية للإمام تقي الدين أبي عمرو عقمان بن عبد الرحمن السهرزوري المعروف بابن الصلاح ١٦٤/١

(١٥) - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٨٠/٢

و أملاكاً أخرى أوقفها عليها^(١٦). وبنى أبو الفداء عماد الدين إسماعيل مجمعاً عمرانياً حضارياً ضم في جنباته جامع الدهشة وحمام الدهشة وقصر الدهشة بالقرب من ناعورة الدهشة، ليكون مأوى للأدباء و الشعراء و العلماء و الفقهاء و النحاة، يجتمعون فيه و يتداولون قضايا الدين و السياسة ، و يناقشون فيه الفتاوى و الاجتهادات النحوية و الفقهية، و يسمعون فيه فصيح الشعر و أعذبه، تحت مرأى و مسمع ملكها الفاضل، الذي قال عنه ابن الجزري في تاريخه: ((شارك العلماء الفضلاء في فنون من الفقه و النحو و العربية و الأصول و علم الهيئة و الهندسة و التاريخ، وكان يحب أرباب الفضائل، و عليه رواتب كثيرة لهم و لأرباب البيوت، و لا يخيب من قصده^(١٧)). وكان قصر الدهشة وجامعه محل الحديث و المباهاة في مصر و بلاد الشام، لذلك وصفه الشعراء و أخذ عنه الأمراء، فقال صفي الدين الحلي في قصيدة رثاء الملك أبي الفداء:

إذا ذكرت حمى العاصي وملعبه و القصر و القبة العليا بمرقبه

وظل ذكر هذا المجمع العمراني إلى عهد الشاعر تقي الدين بن حجة الحموي، ففي قصيدة يمدح فيها قاضي القضاة بحماة العلامة تقي الدين أبا بكر الخيتمي الحموي يقول فيها:

يروق امتداد الجسر و القصر فوقه فيحلو طباق العيش بالمد و القصر.

وقد أخذ السلطان إسماعيل بن محمد قلاوون عن هذا القصر وبنى قصراً مشابهاً له في مصر اتخذ نفس الاسم. وبعث المهندسين المصريين إلى حماة ليشاهدوا هذا البناء و يبنوا على منواله في مصر^(١٨).

واشتهرت حماة بكثرة مساجدها و جوامعها، وجمال حماماتها و أنافتها، و بديع صنع نواعيرها الدائرة التي تسقي قصورها و بيوتها و حماماتها و مساجدها، و لا نريد ذكر جوامع حماة و مساجدها لأن ذلك يحتاج إلى مقالة مستقلة، ولكن نذكر هنا جامع القلعة الذي بني في قلعة حماة، و الذي ران عليه النسيان، و لم يبق منه إلا الأطلال، لأهميته التاريخية في رعاية العلم و الثقافة، فقد كان يرتاده الملك و أسرته و أبناء بني أيوب



ناعورة في حماة

(١٦) - مملكة حماة الأيوبية ص ٤٨.

(١٧) - تاريخ ابن الجزري ٥٤٠/٢

(١٨) - مملكة حماة الأيوبية في مواجهة الحملات الصليبية و الزخوف المغولية ص ١٤٦_١٤٧_٢٠٩_٢١٠

ومماليكهم و الأمراء و الأعيان و الوجهاء ومن له حظوة ومنزلة، وكان يعين فيه للخطابة و التدريس أبرز علماء حماة ونوابغهم، نذكر منهم على سبيل الإيراد لا الحصر، العلامة عبد الرحمن بن عثمان بن يعقوب الحموي وابنه شرف الدين يعقوب الذي اشتهر بابن خطيب القلعة، وكان خطيباً مفوهاً، وواعظاً مؤثراً، وعارفاً بالقراءات والفقه والعلوم العربية صنف كتباً منها نظم الحاوي في فروع الشافعية توفي بحماة سنة ٧٧٤هـ^(١٩).

ويذكر ابن واصل في حوادث سنة ٦١٦هـ، أن الملك المظفر تقي الدين محمود أمر بصعود أكابر حماة إلى القلعة للصلاة على والدته بنت الملك العادل، و أهمهم إذ ذاك والده قاضي حماة العلامة سالم بن نصر الله الحموي، وهو الذي كتب نسخة اليمين التي استخلف بها الملك المنصور أهل بلده، ولده الملك المظفر تقي الدين محمود. وكان ابن واصل يحضر مع والده مجالس صاحب حماة، وهي مجالس علم وحكم، إذ كان أبوه يتولى منصب القضاء في حماة آنذاك^(٢٠).

ولقد اشتهرت حماة بكثرة علمائها المبرزين في شتى صنوف المعرفة و الفنون، وأسهموا في بناء الحركة المعرفية، ورفدوها بآرائهم و أفكارهم. وسجلوها في مؤلفاتهم وكتبهم، نذكر من هؤلاء العلماء على سبيل التلليل، القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله الحموي المعروف بابن أبي الدم، حدث بالقاهرة وكثير من بلاد الشام وكان إماماً بالتاريخ، وله نظم ونثر، ومصنفاته تدل على فضله، ومن تصنيفاته أدب القضاء، وكتاب في تاريخ الفرق الإسلامية و قال الذهبي: له التاريخ الكبير المظفري، توفي سنة ٦٤٢هـ^(٢١)، و القاضي جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله الحموي المشهور بابن واصل، قال عنه الذهبي: برع في العلوم الحكيمة و الفلسفية و الرياضيات و الأخبار و أيام الناس، وصنف ودرس و أفنى، وبعده صيته واشتهر اسمه، وكان من أذكى العالم، ونوادر الزمان ومن مصنفاته^(٢٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب^(٢٢) توفي سنة ٦٩٦هـ^(٢٢) ومنهم القاضي عبد الرحيم بن إبراهيم البارزي، قال الذهبي كان إماماً فاضلاً، فقيهاً أصولياً، أدبياً شاعراً، له خبرة بالعقليات، وكان مشكوراً في أحكامه، وافر الديانة، يحب الفقراء و الصالحين، ودرس و أفنى و صنف، و أشغل مدة، خرج له الأصحاب في المذهب وله شعر رائع توفي سنة ٦٨٣هـ^(٢٣) ومنهم قاضي قضاة

(١٩) - الاعلام للزركلي ٣٠٠/٨

(٢٠) - الحركة الفكرية في مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢١) - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤٠٠/٢

(٢٢) - المصدر السابق ١٩٥/٢

(٢٣) - المرجع السابق ١٧٩/٢



الجامع النوري في حماة من المساجد الأثرية

بغداد العلامة محمد بن المظفر بن بكران الحموي قال عنه أبو سعد السمعاني: إنه كان أحد المتوحدين في مذهب الشافعي رحمه الله، وكان ذا مقامات في النظر، مطلعاً على أسرار الفقه ومكنونه، كبيراً في الورع و الزهادة و التقوى و العبادة، حسن الطريقة، خشنها، جرت أمور في أحكامه على السداد و الإصابة، توفي سنة ٤٨٨هـ^(٢٤). ولقد تولى العديد من علماء حماة قضاء مصر زمن الأيوبيين المماليك نذكر منهم القاضي عماد الدين القاسم بن إبراهيم الحموي و القاضي تقي الدين محمد بن رزين الحموي الذي امتنع عن أن ينال أجراً على

(٢٤) - امرأة الجنان ١٤٨/٣

القضاء و العالم الفاضل المؤلف الكاتب الشاعر الأديب بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي، فخر حماة، وله أسرة من أعرق أسر مدينة حماة، بارك الله في كثير من رجالها، فخدموا العلم و الدين و الأدب و العدالة و القضاء خير الخدمات، وقد برع هذا القاضي في الفقه و الحديث و تفسير القرآن الكريم و الكتابة الإنشائية و نظم الشعر، ولما ذاع فضله وُكِّل إليه قضاء الشافعية بالقدس و خطبتها سنة ٦٨٧هـ، ثم جمع له بين القضاء و الخطابة بدمشق، وتولى ابنه عبد العزيز بن جماعة قضاء القضاة بمصر وغيرهم^(٢٥). ولقد وفد العديد من طلبة العلم إلى حماة لينهلوا من معارف علمائها، فما هو الذهبي يسمع بمدينة حماة على العلامة عبد العزيز عمر بن أبي بكر الحموي الصوفي، وقاضي حماة الحنفي العلامة عبد العزيز بن محمد بن أحمد الطلبي و العلامة محمد بن يعقوب بن إلياس الحموي، و الشيخة فاطمة بنت الحسين الأنصارية الحموية، و الإمام العلامة هبة الله بن عبد الرحيم البارزي^(٢٦). الذي بلغ رتبة الاجتهاد كما يقول عنه الذهبي^(٢٧)، وكان جده القاضي إبراهيم البارزي حجة الله في القضاء على أهل عصره ومن تلاهم^(٢٨).

ولا بد لنا أن نخرج على بعض المدارس التي ظهرت في بداية القرن العشرين، وكان لها إسهامات في حركة النهضة الفكرية و الدينية، وتخرج فيها أفاض العلماء و جهابذة الفقهاء، و القادة و الساسة و قواد الأحزاب السياسية نذكر منها، مدرسة العلم و التربية التي أنشئت في زمن فيصل الأول مدرسة شيخ الشافعية العلامة توفيق الصباغ الشيرازي، و المدرسة المحمدية الشرعية التي أسسها المربي الكبير العلامة محمود بن عبد الرحمن الشقفة على ظهر الجامع الشرقي، ومن أشهر العلماء الذين انتشر ذكركم خارج حماة ومحيطها إلى العالم الإسلامي: العلامة إبراهيم الحافظ، ومفتي حماة العلامة محمد سعيد النعسان الوردية، و الشيخ سعيد الجابري، و الشيخ أحمد مراد و الشيخ خالد الشقفة، والشيخ محمد الحامد و المفكر الإسلامي سعيد حوى، والشيخ عبد الحميد طهماز، رحمهم الله جميعاً.

وإن كان من كلمة أخيرة، فليعذرني القارئ الكريم إن لم أستوعب جميع علماء حماة و أعيانها، فكل من ذكرت منهم ومن لم أذكر، يستحق أن يفرد له سفر خاص به، راجياً من القراء الكرام الذين يملكون معلومات تفصيلية عن بعض العلماء حماة، أن يزودونا بتلك المعلومات، لنفرد لهم تعريفاً، يليق بقدرهم وعلمهم، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٢٥) - عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي و الأدبي، تأليف الدكتور محمود رزق سليم ٢/٨٠/٨٧/٨٨/٩٦/٩٧/٩٨.

(٢٦) - الحافظ الذهبي تأليف عبد الستار الشيخ - ص ٥٠.

(٢٧) - مرآة الجنان للياضي ٤/٢٢٣.

(٢٨) - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣١٩.



العلامة المجاهد

الشيخ

محمد الحامد

(رحمه الله تعالى)

بقلم

أ.د. غسان حمدون

قرعت طبول الحرب العالمية، والأغذية وخاصة القمح قد التهمت الحروب أكثرها، ومن كان عنده قمح أخفاه حتى لا تسحبه الحروب، والشيخ محمود قد شعر بدنو الأجل وعنده ثلاثة أطفال فنظر الشيخ في أوضاعه فلم يجد مالا وفره لأولاده، والبلاد تلفها المجاعات والأوبئة طوال الحرب العالمية الأولى، فأخذ يبحث عن وصي يوصيه فلم يجد، فكل إنسان ينشغل خلال أزمان الشدة بنفسه، فما كان من الشيخ محمود إلا أن اتجه إلى الله بقلبه يردد في مرض وفاته قوله: **«إني أوصي الله على أولادي»**. بعد سنة من وفاة والد الشيخ محمد الحامد توفيت والدته أيضا، فكانت طفولته في غاية المشقة، محفوفة بالآلام، ثم تحسن الأمر بأن فرج الله عن هؤلاء الصبية الثلاثة، فكان مستقبلهم أخيراً كما يأتي:

١- أما بدر الدين الحامد: فكان أديب حماة، وشاعر نهر العاصي، له ديوان شعري يثير فيه أهل حماة لمحاربة فرنسا، ويتجرد لتعليم أبنائها حتى صار مديراً للتربية والتعليم وهو أعلى مركز إداري علمي في حماة.

٢- وأما الشيخ محمد الحامد: فقد درس في حماة في المدرسة الشرعية، وحصل على الشهادة الإعدادية، ثم في حلب فحصل على الثانوية، ثم درس في الأزهر الشريف في مصر فحصل على الشهادة العالمية، وشهادة القضاء، ورجع إلى حماة فأصبح مفتي العالم الإسلامي في رسائل يومية تأتيه أقلها (١٤) رسالة تأتيه كل يوم من شتى أنحاء العالم، ودرّس في مدرسة ابن رشد في الثانوية، وخرج أجيالاً من الشباب المسلم، بل كان خطيب مسجد السلطان ومدرسه ليخرّج دعاة وعلماء وفقهاء ومفسرين.

٣- وأما عبد الغني الحامد: فكان مدرساً للغة العربية، وكان الأستاذ الفذ في حماة، وأول رئيس لجماعة الإخوان المسلمين بها، ولأنه أول مركز للجماعة في سورية كان اتصاله مع الإمام حسن البنا (رحمه الله) مباشرة في مصر.

إنها دعوة المحتاج دعوة الشيخ محمود الحامد الذي أوصى الله تعالى على أولاده ومن يتوكل على الله فلن يخيبه بل هو حسبه ووليه. قال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

شيوخه:

لم يكتف العلامة محمد الحامد بشيخ يأخذ عنه بل أخذ عن عدة شيوخ منهم:

١- خاله العلامة السلفي محمد سعيد الجابي: وهو عالم حماة في زمانه، عرف بالجرأة بالحق في مواجهة المستعمرين الفرنسيين، يقول عنه العلامة محمد الحامد: (إنه هو الذي دفعني في سبيل العلم الديني، وأمرني بحفظ القرآن الكريم، وأقراني بمبادئ العلوم الدينية)^(١). توفي سنة ١٩٤٨م، رحمه الله تعالى.

٢- الشيخ محمد توفيق الصباغ: وهو شيخ الشافعية بمدينة حماة ورئيس جمعية العلماء في حياته، يقول عنه العلامة الحامد: (كان مديراً لدار العلوم الشرعية، وكان يبذل جهداً كبيراً في تثقيفنا وتعليمنا ويحنو علينا حنو الوالد الرحيم على صغاره).

٣- العلامة مفتي حماة الشيخ محمد سعيد النعساني: شيد المدارس، وبنى الجمعيات الخيرية التي رعت العجزة والأيتام، هذا مع معرفته بمقتضيات العصر واستمساكه بأهداف الشريعة الغراء، وكانت فتاويه البلسم الشافي لكل قضية، وكل مسألة، وقد جاوز المائة وعشر سنين من العمر. فقد كان يموت قبله كل من طمع في وظيفة بوصفه مفتياً، لمدينة حماة حتى تولى المشايخ أن لا يطعموا فيها... توفي سنة ١٩٦٦ قبل وفاة العلامة الحامد بثلاث سنوات، وقد

(١)- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد مجذوب ص ٢٣٦. ومجلة حضارة الإسلام ص ٥٠.

عرض منصبه على الشيخ محمد الحامد فأبى ذلك لأمر رسمي سيكلف بها ولا يرتضيها لنفسه. فقد اختلف زمانه عن زمن المفتي السابق.

٤ - الشيخ أحمد الزرقا: وقد تتلمذ الشيخ على يديه في المدرسة الخسروية الشرعية بطلب، وأخذ عنه الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان يقول عنه العلامة الحامد: (ما جلست طيلة حياتي إلى أفقه منه لا في مصر ولا سورية) وعرف بالأمانة العلمية، وكان يقول: (العلم أمانة) يخرج تقاريره العلمية بمخرج لطيف ومداعبات حلوة).

٥ - الشيخ عيسى البيانوني الحلبي: (هو الأستاذ العالم العامل كما يقول عنه الشيخ ومن خلفاء الشيخ محمد أبي النصر كان رحمه الله تعالى مدرسا لنا في المدرسة الخسروية الشرعية لعلم التصوف والأخلاق وكان نفعه يسري إلى قلوبنا)(^٢)

٦ - الشيخ محمد أبو النصر الحمصي النقشبندي: ولد في مدينة حمص سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧١م وهو أحد كبار الزهاد والصالحين في بلاد الشام يقول العلامة الحامد عن تأثره بشخصيته: (والذي له في نفسي مكان الصدارة الأولى على الإطلاق والعموم، وله فيها بالغ التأثير العميق والشديد معا هو فضيلة سيدي العالم العامل والمرشد الكامل، مربى المريدين، ومرشد السالكين، العارف بالله تعالى الشيخ محمد أبو النصر النقشبندي قدس الله سره.. ولئن كان مني نفع للأمة فهو في صحيفة شيخي مسجل، إذ قد انتابتني نائبة روحية أيام دراستي في مصر كادت تشل فكري عن العمل وترميني بكارثة التعطل العقلي فكتبت إليه بما عناني، فرأيت فيما يرى النائم أنه مد يده الكريمة إلى قلبي وحركه بأصابعه الشريفة فاستيقظت وقد أبراني الله من العلة بعد أن حار إخواني المصريون بأمرى)^(٣) وقد حدثنا الشيخ الحامد رحمه الله تعالى عن تعجب الإخوة المصريين من شفاءه من علته. توفي الله تعالى الشيخ أبا النصر في سحر ليلة الجمعة ١٥/رمضان/١٣٦٨هـ

٧ - الشيخ أحمد مراد: الفقيه الحنفي انتفع بعلمه خلق كثير سواء كانوا من أهل مدينة حماة أم من أهل الأرياف، وهو والد زوجة الشيخ محمد الحامد التي لا زالت في الأحياء عند كتابتي السطور الأولى من مقالي هذا، فقد توفيت في شهر صفر عام ١٤٣١هـ رحمها الله تعالى. ويقول الشيخ محمد الحامد عنه: (وقد أكرمني الله فجعلني صهراً له على ابنته، وقد كان هذا قبل أن يكون لي مورد رسمي ومنزل آوي إليه، ولكنه التوكل على الله سبحانه وتعالى والإيمان به والوثوق بما عنده).

(٢) - مجلة حضارة الإسلام (ص ٥١)

(٣) - عبد الحميد طهماز، العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد ص ١٩٤



صورة نادرة للإمام حسن البنا

٨- الإمام حسن البنا: ولد حسن البنا عام ١٩٠٦م بمصر، وأسس حركة الإخوان المسلمين، وقتل غدرًا أيام حكم الملك فاروق عام ١٩٤٩، والسبب الأساسي في قتله واعتقال أفراد جماعته في عهد الملك فاروق وبعده انه أرسل آلاف المجاهدين إلى فلسطين بل حرض أهل بلاد الشام على الجهاد أيضا، فكان هو في فلسطين من جهة مصر، والدكتور مصطفى السباعي والمجاهدون من بلاد الشام عند القدس في تعاون بين أهل الشام والمصريين المجاهدين، فقاتل المجاهدون قتالا عنيفا له أثره الواضح في جبهات القتال.

وقد عدّه الشيخ الحامد أهم شخصيات العصر، يقول عنه: (والذي أثر في نفسي تأثيرا من نوع خاص وله يد في تكويني الشخصي سيدي وأخي في الله وأستاذي الإمام

الشهيد : الأستاذ حسن البنا رحمه الله تعالى. ولما وافاني نبأ اغتياله قلت: إن موت ولدي، ولم يكن لي غيرهما حينئذ، أهون علي من وفاة الأستاذ المرشد... إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا من مئات السنين في مجموع الصفات التي تحلّى بها. وخفقت أعلامها على رأسه الشريف.....).

لقد سمعت بأذني الشيخ رحمه الله تعالى يذكر البنا بمزيد من الألم والحنان والحسرة ويقول عنه: (عندما كنت أنظر إليه كنت أنظر إلى صديق من الصديقين، عندما كنت أجلس بجانبه فكأنني بجانب جبل، كان عالماً ولو أطل الله بعمره لأصبح مجتهدا، كان متواضعا استقبل في بلدة مصرية استقبالا حافلا بالحفاوة والتكريم فنظرت إليه فلم يتغير). وكان يحدث تلامذته عنه طويلاً، فإذا رأى دموعهم قد انهمرت تشوقاً إلى الأمام وحنناً عليه انقطع عن الكلام^(٤). ويقول الشيخ الحامد: (لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العاملين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء والكاتبين، وقيادة القائدين وتدبير المدبرين، وحنكة السائسين لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولا حقين لكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمالات قلما ظفر به أحد كالإمام الشهيد _ رحمه الله تعالى _، عرفه الناس وآمنوا بصدقه، وكنت واحدا من هؤلاء العارفين به، والذي أقوله فيه قولاً جامعاً هو أنه كان لله بكليته بروحه وجسده، بقلبه وقلبه،

(٤) - نقول شخصية يشهد بها كاتب المقال.

وبتصرفاته وتقلبه، كان لله فكان الله له فاختاره واجتباها، وجعله من سادات الشهداء الأبرار).

لقد كان الشيخ محمد الحامد عضو جمعية العلماء في حماة التي كان يرأسها شيخه الشيخ توفيق الصباغ ثم الشيخ خالد الشقفة، وهي جمعية رسمية فتحت قديماً بترخيص من وزارة العمل، أما بقية علماء سورية فكان للشيخ الحامد علاقة طيبة بهم للتشاور في أمور المسلمين كان منهم الشيخ النبھاني في حلب والشيخ حسن حبنكة الميداني والشيخ عبد الكريم الرفاعي في دمشق والشيخ المسدي في حمص..... فكان الشيخ في جمعية معهم للمودة والتشاور، فقد كان حريصاً على المسميات أكثر من الأسماء.

تلامذته:

قام الشيخ الحامد رحمه الله تعالى بتعليم العامة والخاصة، وله دروسه وخطبه ومواعظه لذلك...

فقد كان يدرس يومياً في جامع السلطان بعد المغرب بساعة ما يأتي:

١- السبت: درس في التفسير.

٢- الأحد: درس الفقه.

٣- الاثنين: درس الفقه.

٤- الثلاثاء: درس في الحديث.

٥- الأربعاء: درس في السيرة النبوية.

٦- الجمعة: درس في التفسير.

وكان ينتخب لهذا الدرس كتباً قيمة ترفع العامة إلى مستوى الخاصة، فتخرج على يده كثير من أهل العلم والفضل، ومن نعرض أسماءهم إنما هم نماذج لتلقي هذا العلم الغزير عن الشيخ، فمن تلامذته المؤلفين

١- د. أحمد جواد: ولد الدكتور أحمد جواد في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، تخصص بالطب البيطري وأفاد من الشيخ الحامد. عمل طبيباً بيطرياً في سورية والإمارات والأردن، ألف كتاباً قيماً عن الخنزير بين فيه أضراره، توفي في عمان الأردن مهاجراً عام ٢٠٠٧م. رحمه الله تعالى.

٢- د. حاتم الطبشي: ولد في الأربعينيات من القرن العشرين، يحمل شهادة الدكتوراه في الفقه والتفسير، ألف كتباً في البطولات الإسلامية والسيرة النبوية شرح فيها قصيدة عصماء لشاعر العرب د. محمد نجيب مراد كما أن له مؤلفات أخرى أهمها تحقيقه في المحرمات في القرآن الكريم.

٣- الأستاذ حسني الشيخ عثمان: ولد في بداية الأربعينيات وقد أضاف إلى علومه الشرعية التي تلقاها عن الشيخ الحامد العلوم الإدارية، له أكثر من ستة عشر كتاباً منها: حق التلاوة، وهذا أبوزر، والمشايخ والاستعمار، وتكنولوجيا الاجتماعات ومفاهيم إسلامية، ورسائل تقديمية عن الطبيعة والإله، ومعنى الإسلام، وهارون الرشيد وأصول تدريس التجويد، وأحسنوا أسماءكم، وغيره.

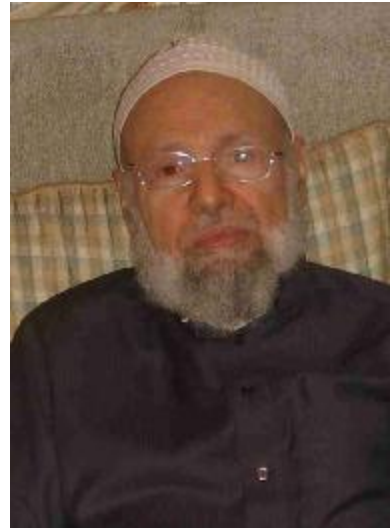


٤- الشيخ سعيد حوى: هو سعيد بن محمد ديب حوى النعمي ولد في ١٩٣٥/٩/٢٧ في مدينة حماة، عمل مع والده رحمه الله تعالى في تجارة المنتجات الزراعية، درس في حماة وتخرج من ثانوية ابن رشد، وأكمل دراسته في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ودرس على شيوخ كثيرين أشار إليهم في كتابه هذه تجربتي وهذه شهادتي.. توفي مهاجراً في عمان عام ١٩٨٩م. من مؤلفاته: الأساس في التفسير والأساس في السنة، وسلسلة

الشيخ: سعيد حوى (رحمه الله)

الأصول الثلاثة، فانتفع بها خلق كثير لترجمتها للغات

أخرى، والمستخلص في تركية الأفسس ومذكرات في منازل الصديقين والربانيين، وجند الله ثقافة وأخلاقاً وانتفع به خلق كثير وخاصة دعاة إسلاميين درسهم في المدينة المنورة ثم توزعوا في العالم الإسلامي...، بطلا الحروب الصليبية، وفي آفاق التعليم، ودروس في العمل الإسلامي، وفصول في الإمرة والأمير، وإجازة تخصص للدعاة، والسيرة بلغة الحب، وجند الله تخطيطاً وتنظيماً، وهذه تجربتي وهذه شهادتي، وغير ذلك كثير^(٥)... حاول أعداء الشيخ أن لا يتركوا مجالاً يرضاه لكي يكون أثره العلمي أوسع ونصرة للإسلام والمسلمين أكبر، فأمضى عمره مسافراً ثم مهاجراً ومع ذلك نفع الله به خلقاً كثيراً.



٥- الشيخ عبد الحميد طهماز: ولد الشيخ في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، وهو أحد التلاميذ المقربين من الشيخ الحامد قدم الشيخ لأحد رسائله وهي (الصحيح أن كل ما في البخاري صحيح) فقال عنه الشيخ الحامد: (وإن لي به الثقة المطلقة من حيث الإيمان العميق والتحقيق

الشيخ/ عبد الحميد طهماز

رحمه الله

(٥) - انظر أسماء كتبه في كتابه (هذه تجربتي...)

السلطان بعد وفاة شيخة الحامد، ودرس الفقه الشافعي على الشيخ خالد شقفة بالإضافة إلى الفقه الحنفي والعلوم الأخرى التي تلقاها عن شيخه الحامد. توفي في شهر صفر من عام ١٤٣١هـ في مدينة الرياض رحمه الله تعالى، له كتب كثيرة. ومن أهم مؤلفاته: رسالة: الصحيح أن كل ما في البخاري صحيح، وإرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس، والفقه الحنفي في ثوبه الجديد في خمسة مجلدات، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه - (سلسلة أعلام المسلمين)، والعلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد (سلسلة أعلام المسلمين)، والأنساب والأولاد - دراسة لموقف الشريعة الإسلامية من التلقيح الصناعي، والنبي وأزواجه في سورة الأحزاب، والعواصم من الفتن في سورة الكهف، والحلال والحرام في سورة المائدة، وله تفسير موضوعي للقرآن الكريم في عدد من المجلدات.

٦- أ.د. غسان حمدون: ولد في الأربعينيات من القرن العشرين، وهو أحد المقربين من الشيخ الحامد، ويكن له محبة خاصة أعلنها في درسه العام المسائي في جامع السلطان بإجازة^(٦)، تخرج في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وحصل على الماجستير من جامعة البنجاب في لاهور بباكستان، ونال الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم في السودان، درّس في حماة ورأس العين في سورية والإمارات، وفي جامعة صنعاء، وجامعة العلوم والتكنولوجيا، والمعهد العالي للتوجيه والإرشاد، وقبل أن يهاجر من حماة كان له درس يومي مسائي في جامع نور الدين الشهيد في حماة في التفسير والفقه والسيرة على طريقة شيخه الحامد ومن مؤلفاته:

تفسير من نسمات القرآن، وتحت الطبع نفحات على نسمات القرآن، وإعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى، وكتاب الله في إعجازه يتجلى، وله عدة بحوث علمية في مجلات محكمة ارتقى بها إلى أستاذ دكتور، ومقالات ورسائل كان أهمها مقالات من كتاب أسماه (الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب عصرنا الحديث) وهي دراسات في الحديث الشريف ولم يكتمل الكتاب بعد، صدر منه أربع مقالات. وقد جعل مؤلفاته كلها للمسلمين على موقعه على النت www.hamdoun.net

٧- الأستاذ الشيخ محمود الحامد: ولد في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، تأثر بوالده كثيراً، وتعلم من علمه الكثير الكثير، وخاصة في الدرس الصباحي لوالده في كنز الدقائق للزيلعي في الفقه الحنفي وغيره... استلم منبر جامع السلطان بعد وفاة أبيه، وكان له

(٦) - عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا معاذ و الله اني لأحبك في الله ثم أوصيك لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك) قال النووي رواه أبو داود و النسائي بإسناد صحيح_ رياض الصالحين ص٢٠٢. ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ_ ١٩٨٥م. وذكر الشيخ هذا الحديث في الدرس العام في مسجد السلطان ثم قال: إن معاذاً قال لمن بعده إنني أحبك في الله و ذكر تنمة الحديث ثم من بعده قال لمن بعده... حتى وصلت إلي بالسند فقال الشيخ: يا غسان إنني أحبك في الله فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول ((اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك)). ثم أجازته في هذا الدرس العام بذلك لمن يحب في الله تعالى...

خطب مؤثرة حماسية شديدة مقارعة للظلمة، له مؤلفات في حقل الدعوة الإسلامية، آخرها: هل ألقى المسلمون مراسيهم، وهو أشبه أولاده بأبيه من حيث التقوى والورع والفراسة.

٨- د. خالد هندراوي: ولد في أواخر الأربعينيات، شاعر وأديب وفقه ومفسر له مجموعات شعرية كثيرة، من أهمها قصيدته في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. تخرج في كلية الشريعة بجامعة دمشق وأخذ شهادة الماجستير من باكستان وشهادة الدكتوراة في المحرمات في القرآن الكريم من جامعة القرآن الكريم في السودان، وهو رئيس تحرير مجلة بشائر الإسلام أخيراً. كثير التنقل في البلدان الإسلامية والغربية لنفع المسلمين علماً وأدباً ولبناء صروح عمرانية سامقة في المساجد والمستشفيات..، درّس في مدارس الإمارات، وجامعة صنعاء، وجامعة قطر.

وللشيخ تلامذة كثيرون مبدعون وعلماء اشتغلوا في التعليم والتربية منهم الشيخ نافع العلواني، والشيخ عبد الحميد الأحذب، والشيخ بشير الشقفة، وله مؤلفات كثيرة، منها: الفقه المالكي في ثوبه الجديد وحكم العورة في الإسلام وغير ذلك، والشيخ حسن السلق النجار، والدكتور سلمان نجار، والأستاذ الشيخ موفق عيسى، ومعن ريس، وفيصل عدي، والدكتور فؤاد البرازي، والشيخ فايز شيخ الزور، وعبد الحفيظ حداد، وغيرهم كثير. والسبب في كثرة تلامذة الشيخ وعمقهم العلمي أن الشيخ كثير الذكر لله تعالى، كثير العلم، يشرح لتلامذته أمهات الكتب، ويعلق عليها بأسلوب سهل. وأهم من ذلك أنه مع علمه الغزير يأتي درسه المسائي اليومي وقد حضر له في ثلاث ساعات من أمّات الكتب أيضاً، وهذا ما أدهش الأستاذ الزاهد العالم سعيد الطنطاوي لما زار حماة، وحضر درس الشيخ.

مؤلفاته:

تتميز مؤلفات الشيخ الحامد بخمسة أمور:

- ١- كان اهتمام الشيخ محمد الحامد الوحيد نشر كتبه بأرخص الأسعار، فلم يأخذ حقوقاً للطبع، فانتشرت مؤلفاته في كثير من البلدان العربية .
- ٢- وكان يخاف الله تعالى في التأليف في أن يصيبه رياء، وكان يقول: (الإخلاص في التأليف أصعب من التأليف) فكان يجاهد نفسه طلباً للإخلاص، ومن كتب بإخلاص كان أكثر تأثيراً في كتبه.
- ٣- كان الشيخ محمد الحامد يقول: (تأليف الرجال أهم من تأليف الكتب) لذلك شغل نفسه بالتربية للجيل المسلم بشكل مباشر، فقلّت كتابته بالنسبة لعلمه الغزير، كما قلّت كتابات بعض تلامذته لذلك..

٤- كان الشيخ الحامد ورعاً، فإذا علم خطأ علمياً في كتاب أو صحيفة انبرى للرد العلمي... لذلك ترى مؤلفاته تدور حول الردود على من أخطأ بالعلم الشرعي، وقد رأى في المنام كما

يحدث تلامذته ومنهم كاتب هذه السطور أنه رأى نفسه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يزيل أشياء غير لائقة وجدها عند المقام الشريف، فقص رؤياه على أحد مشايخه، فقال له: إنك ستذب عن هذا الإسلام أشياء ليست منه.

٥- كان الشيخ الحامد يرى أن لزاماً عليه أن يرد على السؤال المكتوب عليه كتابة، ويجيب على كل سؤال شرعي يأتيه مكتوباً من خارج حماة أو من داخلها، فكانت تأتيه الرسائل وما أكثرها من كل أنحاء العالم الإسلامي وأسئلة شرعية يرد عليها، والعجيب أن أحد السائلين كان يكتب شعراً فيضطر الشيخ إكراماً له أن يرد بشعر أيضاً، ويأتيه في اليوم أكثر من (١٤) رسالة يرد عليها جميعاً، فهو مفت عالمي إسلامي عملياً، ولكن يرفض منصب الإفتاء العام للجمهورية في دمشق وكذلك في حماة رحمه الله تعالى لأن ذلك سيطلب منه مواقف رسمية غير لائقة بطالب العلم فضلاً عن العالم...

أما أسماء مؤلفاته ورسائله المنشورة فهي كما يأتي:

- ١- ردود على أباطيل: الجزء الأول والثاني والثالث.
 - ٢- نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام.
 - ٣- نكاح المتعة حرام في الإسلام.
 - ٤- رحمة الإسلام للنساء.
 - ٥- حكم الإسلام في مصافحة المرأة الأجنبية.
 - ٦- حكم اللحية في الإسلام.
 - ٧- حكم الإسلام في الغناء.
 - ٨- القول في المسكرات.
 - ٩- بحث التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر (رد).
 - ١٠- آدم لم يؤمر باطناً بالأكل من الشجرة.
 - ١١- بدعة زيادة التنويرات في المساجد.
 - ١٢- لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية. وغير ذلك.
- وقد جمعت بعض رسائله في كتاب تحت عنوان: (مجموعة رسائل الشيخ محمد الحامد).

بعض صفاته الذاتية^(٧)

ورعه:

(٧) - تم نقل الصفات الشخصية للشيخ من بعض ما كتب الطالب فتحي عبد القادر في رسالة الماجستير عن (العلامة محمد الحامد ومنهجه في الفقه والفتوى).

عرف الجرجاني الورع بأنه " اجتناب الشبهات، خوفاً من الوقوع في المحرمات، وقيل: ملازمة الأعمال الجميلة"^(٨) وقال الزبيدي: والأصل: الورع هو الكف عن المحارم ثم استعير للكف عن الحلال والمباح، أي ما فيه شبهة"^(٩)، والأرجح التعريف الأول للجرجاني، والورع من مكارم الأخلاق، ومن الصفات الإسلامية الحميدة التي يدعو إليها الدين، ويثني على صاحبها، وينال به الأجر الكبير، والفضل العظيم لوقوفه على أحكام الشرع واجتناب المنهيات، والورع من صفات المتقين، إذ يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس"^(١٠).

كان الشيخ محمد الحامد - رحمه الله - متعلقاً بأهداب الورع طوال حياته، فقد كان شديد الورع بالالتزام بالحلال والبعد عن الحرام واجتناب الشبهات في أعماله وتصرفاته، وفي كسبه ورزقه وإنفاقه، وفي عبادته ومعاملاته، كان رحمه الله تعالى يأخذ بالعزيمة في أحواله جميعها ويكثر من النوافل في أوقاته كلها، " وكان مضرب المثل في الورع حتى راح بعض الناس لا يقرونه على شدة يأخذها بنفسه وحيطة تعلق بها همته. ولقد أسبغ عليه ذلك الورع رداء المهابة، وجلباب القوة، فكانت له صولة ترهب ومكانة تعجب، أذعن لها الأصحاب والخصوم على قلة الخصوم"^(١١).

وله في الورع قصص كثيرة نذكر منها:

- يروي عنه تلميذه الشيخ عبد الحميد طهماز فيقول: " وصل به الأمر في بعض الحالات، أن ترك المدرسة الشرعية في حلب عندما عرف أن أموال الوقف مخلوطة بغيرها، خوفاً أن يدخل إلى جوفه شيء من مال حرام، تركها وخرج إلى القرى يبحث عن الرزق الحلال، حتى وصل إلى قرية " عرب ملك " على الساحل، قرب مصب نهر السن، وهناك التقى برجل صالح، نصحه أن يعود إلى المدرسة، مذكراً له أن الرزق الحلال الصرف الذي يبحث عنه لن يجده في مثل هذا الزمان بكلمة قالها له وهي: ليس بالإمكان أبدع مما كان"^(١٢). - يتحدث عنه أحد تلامذته - الدكتور عبد الرزاق الكيلاني - فيقول: " كنت موظفاً في المستشفى الوطني بمدينة حماة، وكانت سيارة دائرة الصحة تأتي كل صباح لتحملني مع باقي الأطباء إلى المستشفى، وفي أحد الأيام، ونحن ذاهبون إلى المستشفى بالسيارة رأيت الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى يسير في اتجاه سيرنا نفسه، فطلبت من سائق السيارة أن يقف

(٨) - التعريفات للجرجاني (ص ٣٢٥).

(٩) - تاج العروس للزبيدي مادة (ورع).

(١٠) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع رقم (٣٣٧٥) وقال: حديث حسن غريب

وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد رقم (٤٣٠٥). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ١٦٨).

(١١) - مجلة (حضارة الإسلام)، عدد خاص بالشيخ محمد الحامد بعد وفاته العدد الثالث من السنة العاشرة ١٩٦٩م

(ص ٤٥).

(١٢) - العلامة المجاهد لعبد الحميد طهماز (ص ٢١٨).

لنأخذ الشيخ معنا، فوقف، وفتحت باب السيارة وقلت للشيخ رحمه الله تعالى: تفضل يا أستاذ لنأخذك معنا، فنحن نسير في اتجاه سيرك نفسه، فقال: هل السيارة لك؟ قلت: لا، إنها لدائرة الصحة، قال: إذن لا أركب معكم، قلت: لماذا؟ إننا سائرون في اتجاه سيرك نفسه. قال: أليس لي وزن، وإنّ وزني سيجعل السيارة تصرف كمية أكبر من البنزين، لذلك فلا أستطيع أن أركب معكم، وشكرنا وسار في طريقه" (١٣).

— " استأجر مرة حملاً ليحمل له صفيحة الكاز إلى البيت، وأرسل معه ولده ليدله على البيت، وأرسل مع ولده وعاء فيه قليل من الحليب، ولما سار الحمّال التفت إليه الشيخ، فوجده قد حمل وعاء الحليب أيضاً، فناده قائلاً: إني لم أشاركك على حمل الحليب، فتعال خذ أجرته، فقال الحمّال: لا أريد أجرته، ولكن الشيخ أصر عليه وأعطاه أجرته" (١٤).

شجاعته:

كان الشيخ — رحمه الله تعالى — جريئاً في الحق، يعلنه بكل قوة وثبات، وينطق به في كل خطبه ودروسه وفتاويه، ولا يخشى في الله لومة لائم، فهو يقف مع الحق والشرع حيثما كان، فالناس أمامه سواء لا فرق عنده بين شريف ووضيع، وقريب وبعيد، وعامي وصاحب منصب، فالصدع بالحق مأمور به في القرآن الكريم قال الله تعالى: " (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) (١٥) وهو ما دفعه إلى أن يقول: " إن هذه التهديدات عملت عملها في نفسي، فدفعنتني إلى البيان دفعا فرارا من لعنة الله إلى رحمته، وإنقاذاً لمهجتي من عذابه الأليم وعقابه العظيم" (١٦).

يقول — رحمه الله تعالى — : " فإن الحق قوي في ذاته والباطل ضعيف في ذاته، وما على صاحب الحق إلا أن يصدع بقوة، فلا يلبث الباطل أن ينهار وأن يولي أهله الأدبار منهزمين أمام قوة الحق الماحق " (١٧). ولذلك نجده يصف نفسه بأنه سوط من نار على كل يحاول قلب الحقائق الدينية معانيها وإلباس الباطل ثوب الحق. (١٨).

(١٣) - الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد، د. عبد الرزاق الكيلاني (ص ١٦٢).

(١٤) - العلامة المجاهد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٢٠).

(١٥) - آل عمران: ١٨٧.

(١٦) - ردود على أباطيل لمحمد الحامد (١ / ٩).

(١٧) - المصدر نفسه (١ / ٦٠٠).

(١٨) - المصدر نفسه (٢ / ٧٣).

وقد جهر بالحق في قوة ويقين عندما أفتى بأن مال الدولة حرام فيما نصه " ولست أعني بهذا غالب مال الدولة الآن حلال، كلا فإن الغالب عليه الحرمة كما هو مشاهد لاختلاط الضرائب غير المشروعة بالفوائد الربوية وبغيرها " (١٩).

كما رد على وزير الأوقاف عندما أذن للنساء أن يصلين حاسرات الرؤوس والذراعين، فقال ما نصه: " ولا يملك وزير الأوقاف السماح أن يصلين حاسرات الرؤوس والذراعين، وإذنه في هذا لا يعمل عمله الشرعي " (٢٠).

ولقد وقف بشدة أمام ما أقدمت عليه بعض الجهات الرسمية من نبش القبور من أجل تجميل المدينة، حيث صدع بما رآه حقاً وصواباً، معلناً: " وصفوة القول أن الذي نراه الآن من نبش القبور وإزالة معالمها للتجميل حرام، وقد وقفت موقفاً شديداً في بلدنا من أجل هذا النبش " (٢١).

وكان - رحمه الله تعالى - يعلم طلابه الشجاعة في الحق أيضاً فقد دعاه مدير مدرسة ابن رشد التي يدرس بها من غرفة الصف التي يلقي بها درسه على طلاب الصف الثاني الثانوي، وطلب منه الحضور إلى الإدارة، فحضر وترك عصاه الغليظة " عكازه " في الصف، فقال له المدير: إن المحافظ يريد أن يلتقي بك الآن لأمر مهم، فرجع إلى الصف قبل أن ينطلق إلى مكتب محافظ المدينة وأخذ " عكازه " من غرفة الصف، وقال لتلاميذه: هاتوها فقد تلزم.. ففهم طلابه معنى كلامه وضحكوا، وكان ذلك عام ١٩٦١م (٢٢).

جهاده:

لقد أمضى الشيخ - رحمه الله - حياته كلها في ميادين الجهاد، من ذلك جهاده ضد المستعمر الفرنسي حيث أذكى بخطبه الحماسية جذوة النضال والجهاد في قلوب أبناء الأمة الإسلامية، ودعاهم إلى الثورة على المستعمرين وتطهير البلاد منهم، قال في إحدى خطبه: " أما بعد ؛ فالمعهد بإزالة النجاسة استعمال الماء، وإن تفاحش غلظها أضيف إليها التراب، قال صلى الله عليه وسلم: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب " (٢٣) ولكن هناك

(١٩) - المصدر نفسه (١ / ٢٤٢).

(٢٠) - المصدر نفسه (١ / ١٧٨).

(٢١) - المصدر نفسه (١ / ٩٩).

(٢٢) - نقول شخصية.

(٢٣) - أخرجه مسلم في الصحيح، باب حكم ولوغ الكلب (١ / ٢٣٤) حديث رقم (٢٧٩) وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطهارة، باب الوضوء بسور الكلب (١ / ١٩) حديث رقم (٧١)، وأخرجه النسائي في السنن، باب سور الكلب (١ / ١٧٦) حديث رقم (٣٣٥) وأخرجه أحمد في المسند، (٢ / ٢٤٥) حديث رقم (٧٣٤١).

نجاسة لابستنا ربع قرن، ولا ينفع في إزالتها ماء ولا تراب إذ ليس ما يقلعها إلا الحديد والنار" (٢٤).

وقال في خطبة أخرى: "أيها المسلمون، أعدوا أنفسكم للجهاد، ووطنوها على الموت، موت شريف خير من حياة تعيسة، ضربة بسيف في عز خير من صفة بيد في ذل، طعنة برمح في شرف أحب إلى القلب الكبير من نظرة شزراء في مهانة، ركوب الصعاب والأهوال في ارتفاع أجمل بكثير من الراحة والدعة في استخذاء.

أيها الإخوان، لقد استخفت فرنسا بنا، وخاست بكل العهود، ولم ترع للمواثيق حرمة، لقد طلبت منا آخراً أن نقبل أموراً، فيها ترسيخ أقدامها في هذه البلاد واستعباد أهلها، فاغضبوا ثم اغضبوا، وثوروا ثم ثوروا، فما عاد السكون ينفع، وما عاد السكوت يفيد" (٢٥).

ولما وقع اغتصاب فلسطين، كان الشيخ - رحمه الله تعالى - قد نادى بالخروج للجهاد، بل إنه أراد الخروج بنفسه "ولكن كبار العلماء أشاروا عليه بالبقاء لحاجة الأمة إليه، ولكثرة عدد المجاهدين، فانضم إلى اللجان المشكلة لأجل مساعدة اللاجئين ومواساتهم، وجمع المعونات المادية لهم، وكان يطوف على الناس بنفسه لهذا الغرض. ولقد استحوذت قضية فلسطين على اهتمامه، فخصص لها الكثير من خطبه المنبرية، وكتب عنها عدداً من المقالات في الصحف والمجلات" (٢٦) (٢٧).

كان جريئاً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، ينفذ الحق حيثما كان ومع أي شخص كان، حتى مع كبار المسؤولين في الدولة "حاول أحد المسؤولين في عهود سابقة، أن ينتزع من الشيخ اعترافاً بشرعية عمل سيقوم بتنفيذه، وهو ليس شرعياً. فما كان من الشيخ بعد جدال طويل إلا أن انتفض وهو يقول: "هذا العلم أمانة في أعناقنا ولن نخون أمانة الله" وترك المجلس وخرج. وقابله بعد ذلك هذا المسؤول على طريق حمص عائداً إلى حماة، فدعا الشيخ إلى السيارة ليوصله بها إلى حماة، فأجابه الشيخ: "هذه السيارة ملك للدولة، ولا يجوز لك أن تستعملها إلا في المصالح العامة، فكيف تدعوني إلى استعمالها؟". ورفض رحمه الله دعوته. ودعاه مرة رئيس الدولة في بعض العهود لحضور حفلة رسمية، تقام في حمص، فأجابه: إنها

(٢٤) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٣٧).

(٢٥) - المصدر السابق (ص ٣٨).

٢٦ - راجع ما كتبه عن القضية الفلسطينية في كتابه: ردود على أباطيل (١ / ٤٤١ وما بعدها).

٢٧ - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٣٩).

ستقام في مكان تشرب به الخمر، وسيحضرها النساء مع الرجال، فلا أستطيع مشاهدة هذه المنكرات" (٢٨).

كما كانت له مواقف جهادية رائعة وشجاعة ضد مخلفات المستعمر الإلحادية العلمانية من لذين فرقوا وحدة الأمة ومزقوها، وبذلك بقيت حماة قلعة للإسلام.

حكيمته:

وقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - يتحلى بهذه الصفة الحسنة، وذلك من خلال النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم حتى لا يتقل عليهم ولا يشق بالتكاليف، فكان لا يتبع أسلوباً واحداً مع كل الناس، بل كان ينزل الناس منازلهم، ويخاطب كل إنسان بلغة يفهمها ويقبلها بوقت واحد " يبحث عن جانب الخير عند الإنسان، فيدخل إلى قلبه عن طريقه، وما يزال ينمي عنده هذا الجانب، ويثني عليه به، حتى يفتح له قلبه ويسلم للشيخ قياده، وعندها يوجهه - رحمه الله - إلى الحق ويبعده عن المنكر" (٢٩).

ومن حكيمته - كما يروى عنه عدد من تلاميذه - أنه استطاع أن يحقن دماء وينقذ نفوساً من الموت وذلك في الأحداث التي وقعت في حماة عام ١٩٦٤م، وذلك بأخذه وفداً كبيراً من أعيان حماة وعلمائها ورجالاتها إلى دمشق ليلتقوا برئيس الجمهورية أمين الحافظ وقد استطاع أن يأخذ أخيراً قراراً جمهورياً بالعمو العام عن كل المساجين وفتح دكاكين حماة ومؤسساتها بيده منعا للفتنة.

وكان - رحمه الله تعالى - حكيماً في الرد على الاستفتاءات الحرجة التي ترد عليه من بعض المستفتين ومن ذلك أنه في عهد الوحدة بين سورية ومصر أمتت الدولة المعامل والمصانع التابعة للأفراد، كما أمتت عدة شركات واعتبرتها ملكاً للدولة، وكان يومها من يعترض على سياسة التأميم يتعرض لعقوبات قاسية جداً، وفي أحد الأيام جاءه بعض الناس يسألونه عن رأيه في التأميم، فأجاب رحمه الله تعالى بشجاعة وحكمة وذكاء وعلو صوت فقال: أنت تعرف أنه حرام فلم تسألني؟ (٣٠)

وفاءه:

(٢٨) - المصدر السابق (ص ٢٣٠، ٢٣١).

(٢٩) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٣٠).

(٣٠) - نقول شخصية.

لقد تمثل هذا الخلق النبوي في شخصه رحمه الله تعالى، وأصبح سجية من سجاياه، لا تجد فيه أي تصنع أو تكلف، فما من أحد صنع معه معروفاً إلا شكر له صنيعه وكافأه عليه، مهما كان هذا المعروف قليلاً، يقول تلميذه عبد الحميد طهماز: "سمعتَه يثني على شخص ثناء كثيراً، ويدعو له أكثر من مرة، لأنه ناول الشيخ إبريق ماء طلبه منه"^(٣١).

ومن وفائه كثرة ذكره لشيخه ومرشده أبي النصر، فقلّ أن تجلس معه في مجلس إلا ويحدثك عن شيخه وفاء له على ما أرشده إلى طريق الهداية النورانية "وقد تجلّى هذا الوفاء بصورة عملية في حبه واحترامه لأولاد أبي النصر وأحفاده"^(٣٢).

ويحدثنا تلميذه عبد الحميد طهماز عن وفائه حتى مع الحيوانات، فقد لجأ مرة هرّاً إلى بيته فرباه وحنأ عليه، ولكن الهر لما كبر عاث في البيت فساداً، فاضطر الشيخ بعد إلحاح أهل البيت، أن يبعد الهرّاً إلى بيت صديق له في أطراف البلد، وكان الشيخ - رحمه الله تعالى - يزور صاحب البيت من أجل رؤية الهر والاطمئنان عليه^(٣٣).

ومن وفائه حنينه إلى بلده وحنينه إلى أهل الفضل في أي بلد عاش بها، وسيأتي هذا في أدبه وشعره.

رحمته

الرحمة هي الرقة والعطف^(٣٤) في المخلوقات يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: **(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)**^(٣٥).

كان الشيخ محمد الحامد - رحمه الله تعالى - يمتاز بهذا الخلق الرفيع الذي يدل على رقة قلبه ونداوة نفسه، فقد كان رحيم القلب، واسع الصدر، يحمل الكلّ ويساعد الفقراء والمساكين، ويحنو على الأيتام. يروي تلميذه عبد الحميد طهماز أنه "وقف مرة أمام بيت لا باب له، فنادى امرأة باسمها، فلما خرجت إليه، سألتها عن باب البيت، فقالت: يا شيخني إن المال الذي قدمته لنا لم يكف، فأخرج كيس نقوده وما زال يعطيها حتى قالت له: أصبح الآن كافياً"^(٣٦). يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: **(لا تنزع الرحمة إلا من شقي)**^(٣٧).

٣١ - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٤٠).

٣٢ - نفس المصدر (ص ٢٣٩).

٣٣ - نفس المصدر (ص ٢٤١).

٣٤ - مختار الصحاح (ص ١٠٠).

٣٥ - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، رقم (٨٤٧) قال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب رقم (٤٢٩٠) وأحمد في مسنده رقم (٦٢٠٦).

٣٦ - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (٢٢٦).

٣٧ - أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة رقم (١٨٤٦) قال: هذا حديث حسن صحيح وأبو داود في سننه، كتاب الأدب رقم (٤٢٩١) وأحمد في مسنده رقم (٧٦٦٠).

أما رحمته مع الحيوان فيحدثنا عنها تلميذه عبد الحميد طهماز فيقول: (أصاب سائق السيارة التي يركبها الشيخ بسيارته كلباً خطأً على طريق حمص، فأسرع - رحمه الله تعالى - إلى حماة وكلف الطبيب البيطري أن يخرج لمعالجته، وكان يوماً بارداً، ومع ذلك، لم يجد الطبيب بداً من الخروج تنفيذاً لرغبة الشيخ - رحمه الله تعالى - ولما عاد الدكتور أخبر الشيخ أنه وجده ميتاً فتألم الشيخ كثيراً، وتصدق على الفقراء.

وسمع مرة وهو في طريقه إلى البيت بعد الدرس المسائي صوت هراً في داخل الحوانيت المغلقة، فسأل الحارس عن صاحب الحانوت، وأخذ يبحث في الليل عن بيته، حتى وجده وطلب منه أن يذهب لإخراج الهر من الحانوت^(٣٨). وتكرر هذا مرات عدة في حوانيت سوق الطويل في حماة.

نوادره ولطائفه:

يحدثنا عنه أحد تلامذته فيقول: "وشبخنا أديب فكه لا تكاد تفارقه دعابته الحلوة الظريفة في أضييق الأوقات وأحرج المواقف، وقد لا تجد له صاحباً أو تلميذاً أو أحاً إلا وله معه فكاهة ودعابة يذكرها ويعتز بها"^(٣٩).

فقد كانت النكتة جاهزة معه في كل لحظة، وفي كل وقت ليخفف عن السامع بالرغم من هيئته، وكان كثيراً ما يروي تلك النوادر والنكت في درسه الفقهي^(٤٠).

ومن الطرائف التي وقعت له في مصر أن اللصوص سطوا على غرفته فسرَقوا ملابسه كلها، واضطر إلى شراء ملابس جديدة غيرها فكتب إلى شيخه يقول: "قد أنبت الله تعالى ريشي، بعد أن سطا السارقون على غرفتي في غيابي، وسرقوا منها ثيابي، وقد شاء الله تعالى أن يلبسني ثياباً جديدة، فالجبة جديدة، والثوب جديد، والطاقيّة جديدة، والعمامة جديدة، والجراب جديد، واللباسة أيضاً جديدة، ولا ينقصني إلا عروس جديدة، وفرح بها جديد"^(٤١).

ومن نوادره العملية في إحسانه - كما روى أحد تلامذته: أنّ رجلاً افتقر بعد غنى، وصعب عليه العمل اليدوي، فلا يستطيع شيئاً من ذلك، فقعده في بيته في حماة، وفي يوم من الأيام وقعت صرة في وسط الدار ففتحها، فوجد فيها مالا، فتكرر الأمر عليه عدة مرات، وفي آخر مرة ترك الصرة وأسرع نحو باب الدار ففتحها لينظر من الذي يرمي هذه الصرة كل مرة، فإذا به يرى الشيخ محمد الحامد وقد ولى هارباً^(٤٢). ويذكرنا هذا بقصة جابر عثرات الكرام الشهيرة.

(١) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٢٦، ٢٢٧) ونقول شخصية متعددة.

(٣) - نقول شخصية.

(٤٠) - نقول شخصية متعددة.

(٤١) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (٢٤٥، ٢٤٦).

(٢) - نقول شخصية.

" وفي مصر التقى ظرف الشيخ ولطفه مع ظرف أهل مصر ولطفهم وحبهم للدعابة، حتى اشتهر بينهم، ولما كانت أكثر نكاتهم تتصل بالفول - طعام عامتهم الرئيس - أصبح الشيخ عندهم ملكاً للفول، وبايعوه على هذا فقال رحمه الله تعالى:

يا عصابة الفول أشياخاً وشباناً
عشقتم الفول أشياخاً وشباناً
هذي قدوركم بالفول زاخرة
وريحها عطر الأرجاء قاطبةً
وقد أحبكم من ليس يعرفكم
ودام مربعكم بالفول مزدانا
وقد أفتم لهذا العشق برهاننا
أزيها ملاً الأكوان ألعانا
حتى غدا كل قلب فيه ولهانا
والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(٤٣)

من أدبه وشعره^(٤٤)

لقد شهد المعاصرون للشيخ - رحمه الله تعالى - بأن مؤلفاته تتسم بعذوبة اللفظ وقوة البيان، وأسلوب بياني راق وجذاب مع حسن الصياغة والعرض وجودة التأليف والإكثار من المحسنات اللفظية، وتبسيط المعلومات بأسلوب سهل بعيد عن الجفاف والتعقيد.

يقول عنه تلميذه الشاعر عبد القادر حداد^(٤٥):

إنّ في قولك الكريم لسحراً
إذ على كل لفظة نبضات
منطق ساحر وحس وشعر
صادق النبر صافياً عربياً
تشعر النفس بالبيان ندياً
فقت فيه الحبيب^(٤٦) والبحتري^(٤٧)

أغراض شعره:

- المديح:

له شعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه:

يا حبيب الرحمن، يا صفوة الخل
يا وليي وسيدي وإمامي
ق ويا منيتي وراحة روعي
أنت لي خير مشفق ونصيح

(٤٣) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (٢٤٣، ٢٤٤)

(٤٤) - فتحي عبد القادر، رسالته للماجستير الموسومة بـ (العلامة محمد الحامد ومنهجه في الفقه و الفتوى)

(٤٥) - شاعر أصيل ومدرس للغة العربية في حماة ثم في المهجر في الكويت توفي بعمان في الثمانينات - نقول شخصية.

(٤٦) - حبيب بن أوس، هو أبوتام، حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، من حوران. أسلم وكان نصرانياً مدح

الخلفاء والكبراء، وشعره من الذروة، ولد في أيام الرشيد. مات في محرم سنة (٢٣٢ هـ) وقيل: سنة (٢٢٨ هـ) كان واحد

عصره في ديباجة لفظه، وفصاحة شعره، وحسن أسلوبه، له كتاب " فحول الشعراء " سير أعلام النبلاء (١١ / ٦٣).

(٥) - هو أبوعبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البحتري، مدح الخلفاء وعاش نيفاً وسبعين سنة ونظمه في

أعلى الذروة مات (بمنج) وقيل (بخلب) سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائتين. سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٨٦).

كما مدح بعض إخوانه الذين عرفهم في مصر (١٩٤٠ م) فقال:

أحبائي هذا فؤادي لكم
لقد فعل الشوق بي فعله
تركت بمصر صحابا كراما
رجال لهم في التقى مأرب
وهذي عيوني وهذي دموعي
وما من مجيب وما من سميع
لهم طار شوقي وشئت ولوعي
تلوح عليهم سمات الخشوع^(٤٨)

الوصف والحنين:

يصف شوقه إلى حمة بعدما غادرها لطلب العلم إلى حلب عام (١٩٢٨ م) وكان عمره آنذاك ثمانى عشرة سنة فيقول:

أها على وادي حما
أها على تلك الربو
النهر يخرق الريا
دولابه يبكي ويسقي
يا من بقلبي ودّهم
لا تقطعوني إنني
ة إذا نسيم الصبح هبا
ع وأهلها بعدا وقربا
ض وقد جرى حلوا وعذبا
الدمع فاكهة وأبا
وبحقهم لم أجن ذنبا
قد كنت والله المحبا^(٤٩)

وقال في حمص وشيخه فيها:

تترامى روعي إلى أرض حمص
وبروعي حب أقام بقلبي
وفؤادي تهزه الأشواق
هو للداء كله ترياق^(٥٠)

وقال يمدح صديقه الأول عالم المعرفة أحمد الحصري:

حُبِّيت يا أرض المعرفة
فيك الحياة وفي حما
منك الذي هو ساكن
إن غاب عني غبت عن
فيك الكرامة والمبرة
ك الروح تسرخ في مسرة
في القلب إمساء وبكرة
أنسي ولاقتني المصرة^(٥١)

(٤٨) - مجلة حضارة الإسلام (العدد الثالث - السنة العاشرة ، تموز وآب ١٩٦٩) مقال بعنوان: الجانب الأدبي في شخصية العلامة الراحل محمد الحامد لعبد القادر حداد (ص ٩٦ وما بعدها).
(٤٩) - مجلة حضارة الإسلام (العدد الثالث - السنة العاشرة ، تموز وآب ١٩٦٩) مقال بعنوان: الجانب الأدبي في شخصية العلامة الراحل محمد الحامد لعبد القادر حداد (ص ٩٦ وما بعدها).
(٥٠) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٥٩).
(٥١) - العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص ٢٦٨).

معالم منهجه^(٥٢)

- المذهب الحنفي هو مذهب الشيخ محمد الحامد، ولكنه كان يتورع أن يفتي بالمذهب الحنفي في حال وجود نصوص من السنة الصحيحة تؤيد المذاهب الأخرى. فهو مع النص أينما دار.
- ويمتاز علمه بالفقه بالسعة والشمول، إذ يوفي ما يكتب حقه من الأدلة الشرعية وأقوال الفقهاء
- وكان يمزج رحمه الله بين الحكم الفقهي الذي يعطيه والموعظة الحسنة، والإرشاد والتوجيه لما فيه خير الأمة.
- كان لا يشهر بالمخالف لقوله الفقهي بل يتلطف به لعله يقبل أدلته وقوله.
- وكان يعتبر المصلحة المرسلّة المعاصرة، ويسد الذرائع في فتاواه، ويأخذ بالأحوط للبعد عن المعاصي وليمتثل التقوى أحسن امتثال، يشاور في درسه الخاص العلماء الذين يحضرونه في فتاواه حتى انه يرسل بعض كتبه إلى علماء دمشق أو علماء بغداد ليتأكد من أن الأقوال الفقهية المعاصرة التي أخذ بها هي الصواب بعينه.
- الأمانة العلمية أصل عنده فلا ينقل من كتاب إلا ويشير إليه مع دقة في نقله رحمه الله تعالى.

وفاته:

توفي الشيخ الحامد ليلة الثلاثاء في التاسع عشر من صفر بعد صلاة العشاء بثلاث ساعة تقريباً في حماة عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٩٦٩م وقد بلغ من العمر تسعاً وخمسين سنة ميلادية أو إحدى وستون سنة هجرية.

نعم لقد تناقلت نبأ وفاته الإذاعات العربية، وهددت مناقبه، وضجتْ مآذنُ حماة وحمص بالتهليل والتكبير وطلب الرحمة من رب العالمين. وبلل ثرى قبره مطر غزير هطل في غير أوانه ليختلط مع دموع المحبين فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى.

(٥٢) - فتحي عبد القادر، رسالة الماجستير: (العلامة محمد الحامد ومنهجه في الفقه و الفتوى).

الشاعر الدكتور

محمد نجيب مراد

بقلم

أ.د. غسان حمدون

www.hamdoun.net



الشاعر محمد نجيب مراد

إنه ابن حماة البار (شاعر العرب) محمد نجيب مراد الذي كان باراً في شعره بمدينة المجاهدة وعائلته وخاصةً أمه إذ رثاها بقصيدة تقطر دمعاً ودماءً، بل كان باراً بسورية كلها، إذ وفي لها وفاءً طيباً وخاصة دمشق الإسلام وحمص مدينة خالد بن الوليد رضي الله عنه.

لقد تسابق بشعره مع ألف وثلاثمائة وثمانين شاعراً بالشعر العربي الموزون، وتوجَّح بلقب شاعر العرب على هؤلاء الشعراء جميعاً، وقد تميز شعره بصور

الطبيعة الخلابة التي التصقت بخياله حين عاش أجمل صورها على ضفاف نهر العاصي في بساتين حماة ونواعيرها وحدائقها وأزهارها وطيورها وجسورها، كما تميز شعره بالحماسة فكأنه يقطر دماً من دماء الشهداء...، كما تميز شعره بالعاطفة الجياشة التي تحمل الحب الخالص لكل من يستحق الحب... وبالرغم من المحن الشديدة التي مرت بها مدينته وعائلته آل مراد فقد كان يسمو على هذه المحن منتصراً، فالشعور عنده يتحول إلى شعر هدار يوقظ به شعبه وأمته، خاصة وهو مهاجر اضطر أن يعيش بعيداً

عن الروابي التي نشأ فيها والقوم الذين كان يأخذ منهم روح العزة والكرامة التي لا تزال حية بين جوانحه.

وبعد فوز الشاعر في قناة المستقلة على كل هؤلاء الشعراء من مدن عربية شتى نال جائزة مالية قدرها ثلاثمائة ألف دولار، لم يكن الشاعر مادياً إذ ألف شعره هذا وأحلاه وأنداه قبل المسابقة والإعلان عنها

كلنا تحية لهذا الشاعر البار بل وشكر له على المعاني الإسلامية والإنسانية التي قدمها للعالم في شعره.

عائلة المراد:

ينتسب الشاعر إلى هذه العائلة المرادية الكريمة التي حملت شرف العلم الشرعي والدعوة إلى الله في مدينة حماه في وسط سورية، وأمدت المدينة بعشرات العلماء والدعاة من خيرة رجالها، وتميزت بحبها للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فمنها:

الشيخ سليم المراد الكبير والشيخ أحمد المراد الكبير والشيخ عبد العزيز المراد أمين الفتوى في حماه والشيخ محمد علي المراد رئيس جمعية العلماء في حماه والشيخ بشير المراد مفتي حماه والشيخ نجيب المراد جدّ الشاعر والشيخ ظافر المراد والشيخ شامل المراد والشيخ أحمد عبد العزيز المراد مدرس عام وخطيب جامع الجديد والشيخ عبد الودود المراد مدرس وخطيب جامع الإحسان والشيخ ناجي المراد مدرس وخطيب جامع الأربعين والشيخ عبد المنعم المراد إمام جامع المسعود وخطيب جامع عين اللوزة وكذلك من أنساب هذه العائلة عالم حماه العالم العامل العلامة المجاهد شيخ الحنفية بلا منازع الشيخ محمد الحامد الحموي بركة الشام وسقيا سحابها رحمه الله الجميع ونفعنا بعلومهم آمين.....

من هذه العائلة يخرج الدكتور محمد نجيب المراد الذي تربي على العلم والتقوى ليكون شاعراً للعرب ومن قصائده الرائعة "البرقع" قالها في الكعبة المشرفة زاداها الله عزاً وشرفاً:

- انظر منتدى الأصليين لعائلة المراد.

نشأة الشاعر:

لقد نشأ هذا الشاعر في وسط شعور عالٍ وأدب عربي رفيع في مدية حماة التي لها تاريخ مجيد في ذكريات ماضية في حرب ضد المغول في عين جالوت ذلك بقيادة الملك المنصور ملك حماة الذي اشترك تحت القيادة المصرية في قتال المغول يقول المؤرخ العلامة ابن كثير في كتابه (البداية و النهاية): (وقد قاتل الملك المنصور ملك حماة قتالاً شديداً في معركة عين جالوت، هو و المستعرب أقطاي)، كما اشتركت مدينة حماة في محاربة الصليبيين عندما نصر أهل حماة نور الدين الزنكي ثم صلاح الدين الأيوبي وخاصة في معركة حطين.

قدم نور الدين الزنكي منبرين وضع أحدهما في جامع نور الدين الشهيد (جامع النوري) في حماة إكراما لمجاهدي حماة الذين قاتلوا معه الصليبيين، وأوصى أن يوضع المنبر الآخر في المسجد الأقصى ووفى صلاح الدين بما أوصى به معلمه ومعه جنود حماة في حطين وغيرها، كما اشتركت مدينة حماة في محاربة الاستعمار الفرنسي مع مدينة دمشق وذلك عام ١٩٢٥م بقيادة فوزي القاوقجي، واستولى المجاهدون على مدينة حماة بأسرها، وطردوا القوات الفرنسية وفعلت دمشق فعل حماة، فكان نصيبهما الإغارة بالطائرات الفرنسية مما أدى إلى تدمير واسع في المدينتين حتى قال الشاعر عز الدين التتوخي موضحاً ما حل بدمشق وحماة من جور الاحتلال الفرنسي:

قفاً بالمنازل نادياً أطلالها	ماذا يفيدك أن تطيل سؤالها
قد أحرقت عمداً دمشق فلم تعد	تصف الجميلة للورى بجمالها
أعلمت أن حماة لم يدعوا بها	حجراً على حجر يريك ظلالها
وسوى النواعر التي بنواحها	تبكي حماة نساءها ورجالها

كما قام أهل حماة بثورة ضد الفرنسيين قبل خروج الاحتلال عام ١٩٤٥م، وكسروا الحملة الفرنسية، وحجزوا بعض الدبابات، وأحاطوا بتكنة الشرفة التي كان بها المستعمرون الفرنسيون وأنصارهم من الخونة، وقتلوا قائد الحملة الفرنسية وانسحب بعد ذلك المستعمرون الظالمون تاركين وراءهم أسلحتهم كشرط أساسي لنجاتهم، وساحة النصر لمجاهدي حماة مقابل حي عين اللوزة حتى الآن تشهد بنصيبها التذكاري لانتصارات المجاهدين.

إن حماة مدينة مصونة محمية، وخاصة عندما أكرمت آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نُقلوا من العراق إلى دمشق، فلما وصل موكبهم إلى حماة أكرمهم أهل المدينة أيما إكرام، فسألت زينب رضي الله عنها ما اسم هذه المدينة؟ قالوا حماة فقالت: حماها الله من كل ظالم.

لذلك كانت دائماً النتيجة مهما بعدت مع أهل هذه المدينة لدعاء الصالحين لها وإصرار العلماء والدعاة بها على نشر هذا الدين العظيم.
لو أضفنا إلى هذا أن مدينة حماة مدينة جميلة في بساطتها وجسورها ونواحيها ونهرها وحدائقها وأزهارها وطبورها فظهرت جميلة تأخذ بالألباب، فهذا الشاعر عدنان قبطاز في ديوانه (اللهب الأخضر) يقول:

أحماة كانت أمسياتك حلوّة والعيشُ سمحاً، والزمانُ مساعداً
وعلى ضفافك للشباب مجالسٌ للأنسِ تقتادُ التقى الزاهداً
والمطربُ الصّداحُ فوق خميلةٍ يشدو فيملاً مسمعي قصائداً
وصدى نواحي العصور يهزني هزاً ويُسكّرني حنيناً تالداً

وصوت الناعورة يزيد الشجن شجناً، ويزيد الابتهاج ابتهاجاً إذا سمعه السامع.
فمن الشجن ما قاله الشاعر محمد نبيل الأصباشي:

إيه يا ناعورتي صبي لي الدمع السخيّا
واصطفي من لغة الأشجان شجواً عبقرياً
ثم ثوري مثلما ثار الأسى المهتاج فيّا
وتعالني نسكبُ النجوى نشيداً حمويّا
ونصبُ الآه في سقياهُ والشجْو النجّيّا
فأنا ما زلتُ أشدو للأسى لحني الشجّيّا
فاعذُريني إن هجرتُ الصّفو والعيشَ الهنيّا
وغدا قلبي شجياً بعدما كان خليّا

هذا الشعور التاريخي في المدينة بالإضافة إلى جمالها ولد شعوراً قوياً عند الشاعر يتراوح ما بين الشعور بالجروح والفخر بالانتصارات وجمال المدينة الرائعة ويضاف إلى هذا قوة علم اللغة والدين عند علماء هذه المدينة، كل ذلك ولد عند الشاعر شعراً يمتاز بالجمال عظيماً في حماة، فكان من شعرائها بدر الدين الحامد،

وعبد القادر الحداد ونبيل القصباشي، ومنير جنباط وغيرهم كثير كثير حتى قالت مجلة العربي عن حماة بعد زيارة فريقها لحماة وعلى غلاف المجلة مباشرة: (حماة مدينة الألف شاعر). في هذه الأجواء وهذا الشعور وهذا التنافس نشأ شاعرنا محمد نجيب مراد فكان يستحق ذلك اللقب بجدارة (شاعر العرب). ولكن عليك أن تعلم يا أخي القارئ أن من هؤلاء العلماء من توفوا تباعاً، ومنهم من غابوا فجأة عن الساحة، فرحمهم الله تعالى وأجزل ثوابهم.

من سيرته الذاتية

ميلاده: ولد في مدينة حماة عام (١٩٥٧م)

المؤهل العلمي: دكتوراه في جراحة الأنف والأذن والحنجرة، من جامعات باريس - فرنسا.

الوظيفة: يعمل استشارياً لجراحة الأنف والأذن والحنجرة بمستشفى الولادة والأطفال بجدة.

الإنتاج الشعري : كثير وغزير فله أربعة دواوين شعرية.

وأوتي الشاعر حسن إلقاء الشعر، فهي موهبة تزيد شعره وضوحاً وتألقاً وسمواً، وذلك عندما يعيش السامع في أجواء الشاعر العاطفية والخيالية وذلك في نبرات صوته المعبرة عن الصورة والشعر والعاطفة.

وللشاعر قصائد كثيرة، وسنعرض مقتطفات من بعض هذه القصائد، إذ لا يسع المجال لذكر كل هذه القصائد، وقد أوردت أكثرها في موقعي على الإنترنت.

ومن قصائده:

مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم

للشاعر قصيدة مطولة في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم شرحها الدكتور حاتم الطبشي في كتاب.

ولما استهزأ أعداء النبي صلى الله عليه وسلم به ردّ عليهم الشاعر بقوله تعالى: ((إنا كفيناك المستهزئين)) و أنشأ قصيدة مطولة دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فما قال في هذه القصيدة:

"دفاعاً عن حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تَبَّتْ يَدَاهُمْ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَخَلَدَتْ فِي حَقَبِ الزَّمَانِ رَسُولًا
وَمَضَى عَلَى الْأَيَّامِ نِكْرُكَ طَيِّبًا وَمُجَوِّدًا ... وَمُرْتَلًّا تَرْتِيلًا
وَقَفَ الزَّمَانُ أَمَامَ هَيْبَةِ أَحْمَدٍ وَتَحَدَّثَ النَّبْلَاءُ عَنْهُ طَوِيلًا
وَالْمَجْدُ أُسْرَجَ لِلنَّبِيِّ خِيولَهُ الْمَجْدُ كَانَ مَبَادئًا وَخِيولًا
اللَّهُ يَسْمَعُ مَا يُقَالُ بِحَيِّهِ لَوْ شَاءَ رَدًّا... كَانَ (جِبْرَائِيلًا)
كَفَلَ الْإِلَهَ الرَّدَّ... مَا مُسْتَهْزِئٌ إِلَّا ... وَصَارَ مُفْتَتًّا مَأْكُولًا
مَا كَانَ يَجْرُؤُ ضَدَّ أَحْمَدَ حَاقِدٌ لَوْ كَانَ يَسْمَعُ لِلخِيولِ.. صَهِيلًا
نَامَ الرَّجَالُ فَيَا عُلُوجِ اسْتِغْظِي وَتَمَائِلِي وَتِرَاقِصِي تَطْبِيلًا
يَا رَبِّ أَشْكُو... وَالْجِرَاحُ ثَخِينَةٌ وَالذُّلُّ صَارَ مُجْمَلًا تَجْمِيلًا
مَرِضَتْ سِيوفُ الْمُسْلِمِينَ وَخِيْلَهُمْ وَغَدَا زَمَانُ الْمَاجِدِينَ عَلِيلًا
وَإِذَا سِيوفُ الْحَقِّ أَهْمِلَ أَمْرُهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ مُقَدَّسٍ ... مَذْلُولًا

الشاعر ودمشق

لقد هاجر شاعرنا ربع قرن بعيدا عن روابي سورية عامة و دمشق وحمص

خاصة فتلهف إلى وطنه حبا وشوقا قائلا تحت عنوان قصيدة:

(تباريحُ الشوق)

وَطَنَ الْوَرْدِ وَالخَزَامِي لَعْمَرِي وَطَنَ الْوَرْدِ وَالخَزَامِي لَعْمَرِي
رِحْلَةُ الْفَلِّ مِنْ دَمَشَقٍ اسْتَهَلَّتْ خَطَّ عِطْرِ وَطِيئِرْتِ أَنْسَامَةَ
مَهْرَجَانُ الْجَمَالِ يَبْدَأُ بِالشَّامِ وَإِنَّ الْجَمَالَ فِي الْأَصْلِ شَامَةٌ

وعيونُ النساءِ تبدأُ بالشامِ
ومِنَ "المزّة" القصيدةُ تبدو
وعلى الشرفةِ القديمةِ حلمٌ
و"بلودان" أسكرَ الناسَ لكنْ
ما أذَّ الهوى بريءَ النوايا
مرحباً يا دمشقُ، ألفَ سلامٍ
قدري أني حمأتُك حُباً
ثلثَ قرنٍ مضى وأنتِ ذمامٌ
كُتِبَ الهجرُ لستُ أدري إلى مَهْ
"وطني لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه"
وجئتُ مهجتي على ركبتيها
فهمُ الخلقُ أني لا أُغالي

فتمحو ليلَ الضنى وظلامَه
شاعرُ الحُبِّ قد شدا إلهامَه
علمَ الكونِ كلَّه أعلامَه
دون خمرةٍ بنظرةٍ وابتسامَه
عند أطرافِ "ذمّر" و"الهامة"
من ضلوعٍ ومهجةٍ مستهامةٍ
وقصيдаً وشارةً وعلامَه
حفظَ القلبُ عهدَه وذمامَه
ولماذا يخصُّني وعلى مَهْ
عُدتُ يوماً مقبلاً أقدامَه
وتكومتُ دمعاً قدامَه
لو رأى الخلقُ "حمصه" أو "شامه"

الشاعر والدكتاتورية

لاحظ الشاعر الضغوط على كل صاحب فكر حر وشاعر طليق، فهو ينطق بشعره وسط خنق الدكتاتورية وعذابها ووعيدها، فهي تتهمه بالتمرد و التظرف و التآليب على كل حال، ومع ذلك فهو يُصيرُ على أن يصدع بالحق على نهج أبي نر الغفاري ومصعب بن عمير رضوان الله عليهما.

فالشاعر مع أهل الشهيد إذا حملوه، وهو مع المهاجر ينقل أناته ويقدم كبده لأولاده، فهو فوق حصار الدكتاتورية أبداً، ودوماً سيغلب بإذن الله، فمما يقول تحت عنوان

قصيدة (الحصار)

"الأنا ... في هذه القصيدة هي لسانُ حالِ الشاعرِ العربيِّ الحرِّ"

قل لي بحق الله كيف سأكتبُ
ويداهُ ضاغطانِ فوق تنفسي
إن قلتُ واهاً قال ذاكُ تمرُّدُ
أو قلتُ وارباهاً قال تطرُّفُ
وإذا حكيتُ عن العصافيرِ الملونةِ
وإذا بكيتُ على الخيولِ رأيتها
وإذا هممتُ بأن أطارحها الهوى
أو جئتُ من حيثُ الرجالُ تقحموا
هذا صراطي إن أردتُ فمرحبا
إنَّ الحصارَ على فمي وعلى دمي
أنا أعرفُ الفخَّ المركَّبَ إنَّ أنا
وإذا صممتُ اغتالني وجعُ الغناءِ
أنا ذلك الجرحُ الممضُ مُمدِّداً
قلمي على كتفي وبحري عاصفُ
أنا جئتُ من حيثُ القبيلةُ أعلنتُ
وأنا نقوشُ العزِّ والفتحِ الذي
وأنا ضميرُ الخيلِ في ساحِ الوغى
وأنا أكفُ الحاملينَ شهيدهم
وأنا المناديلُ المطرزةُ التي
وأنا أبو الأطفالِ أنثرُ بينهمُ
شعري سيلقفُ إفكَ سحرِكَ في ضحى
حاصرٍ شفاهي بالمقارضِ إنني

وعيونُهُ نابٌ يعُضُّ ومخلبُ
فإذا شهقتُ فذاك ما يتسرَّبُ
أو قلتُ آهاً قال ذاكُ تهرُّبُ
أو قلتُ يا للظلمِ قال مُخرَّبُ
التي قُلتُ أشاحَ يكذبُ
مذبوحةً بالأمسِ قال تُولبُ
تلكَ التي دمعَ الفيضةِ تشربُ
شزراً رماني قائلًا: تتنكبُ؟!
وإذا أبيتَ فبابُ ناري أرحبُ
وعلى مساماتي فأين المهربُ؟
صرحتُ متُّ وإذ ألمحُ أُضربُ
ولو أغنني بالحياةِ أُغيبُ
ويزيدُ إيلاماً إذا أنقلبُ
حلكَ الظلامُ وضاعَ مني المركَّبُ
أني أبو ذرٍّ وأنني مُصعبُ
ضجَّتْ له الدنيا وضاقَ الكوكبُ
أرأيتَ خيلاً في الوغى تتجنَّبُ
وأنا الهتافُ بمجدهِ والموكبُ
رحلتُ مع البؤساءِ حيثُ تغرَّبوا
كبدي وأتركها لهم كي يلعبوا
فأنا بائن الله دوماً أغلبُ
فوق الحصارِ مخلدٌ ومقرَّبُ

آهات على فراق حماة و الأستاذ

هاجر الشاعر من بلده حماة فحن إليها متذكراً كل شيء فيها بعد فراق ثلث قرن،
وأهم ما فيها أستاذه ومعلمه الشيخ أحمد مراد (الشهيد) فمما يقول تحت عنوان
قصيدته (الأستاذ):

حكاية حب، خضبت بها المدامعُ
فساعةٌ وصلٍ مطلبٌ متواضعُ
بلحظةٍ وصلٍ ليس أكثرَ طامعُ
وليتَ الذي قد كانَ في الحُبِّ راجعُ
وتحتَ ظلالِ الزيزفونةِ ساجعُ
تداعبُ خدَّ الماءِ وهو يطاوعُ
ومسكنُ أحبّابي... غيوثُ هوامعُ
وعطرَ صلاتي تحتويه الجوامعُ
يلقنُ علماً للورى ويتابعُ
تهزُّ وفي سحرِ البيانِ، بدائعُ
فترتيلُ آياتٍ مع المدِّ رائِعُ
وإن شَرَحَ الأرواحَ، صبُّ ووالعُ
وبالعقلِ والأرواحِ تملَى الشرائعُ
بفضلكَ ... ها برهانُ شعريِ قاطِعُ
فمسككُ فواخٍ وشعريِ ضائعُ
فمنكُ إلى عينيكُ هذي المقاطعُ
فحارتُ بشعريِ في هوائِ المراضعُ
وتشهدُ في هذا عليكَ طبائعُ
وزادهمُ رفعاً بأن يتواضعوا
إذا جمعتني يومَ فخرِ مجامعُ

سأكتبُ فوقَ البحرِ والشمسِ والمدى
فمن ثلثِ قرنٍ مطلبي متواضعُ
وأطمعُ حتى بالأقلِّ وإنني
فليتَ زمانَ الفلِّ والوردِ عائدُ
وليتَ حمماً فوقَ صفصافِ دارنا
وليتَ على النهرِ الحبيبِ نسائمُ
وليتَ غيوماً فوقَ داري وحارتي
وليتَ أذانَ الفجرِ ما زالَ عابقاً
وليتَ على المحرابِ (أحمد) جالسُ
خطيبٌ له فوقَ المنايرِ وقفةُ
ومنه تعلمنا القراءاتِ عذبةُ
إذا شَرَحَ القانونَ، فقهٌ مقارنُ
كذلكَ، أقدارُ الرجالِ تشكَّتْ
فيا أيها الأستاذُ إنني شاهدُ
فمنكُ قوافي الطيبِ صُغتُ عبيرها
وأبجرتُ في عينيكُ أجمعُ لؤلؤاً
وأنتَ الذي أَرْضَعْتَنِي فنظمتُها
وأنتَ سليلُ العارفينَ لربهمُ
رجالُ، رأيتُ اللهَ يرفعُ قدرهم
"أولئكُ آبائي" وفخري بفعلهم

الهجرة الخامسة

يشد الشوق الشاعر في هجرته الخامسة إلى بلده حماة و إلى دمشق فيودعهما.
وكذلك خوفا .. او طمعا، يحمل المنقف العربي (لحمه) (وقافه) (وضاده) ويهاجر،
فما يقول تحت عنوان (الهجرة الخامسة):

كُتِبَتْ قَسْوَةُ الشَّاتِ عَلَيْنَا	فَسَنُونَ قَحْطٌ وَسَبْعٌ شِدَادُ
وَبِلَادٌ وَرَحْلَةٌ وَجَوَازُ	وَجَوَازٌ وَرَحْلَةٌ وَبِلَادُ
يَا أَبَانَا قَالَ الصَّغَارُ تَعْبِنَا	سَفَرٌ دَائِمٌ فَأَيْنَ الْمُرَادُ
يَا أَبَانَا كَيْفَ الْخُلَاصُ وَرَفَقَا	بَطْيُورٍ قَدْ هَدَّهَا الْإِجْهَادُ
يَا أَبَانَا مَا زِلْتَ تَحْمِلُ جُرْحَا	يَتَنَامِي مَعَ الْأَسَى يَزْدَادُ
إِنَّ بَارِيسَ عِنْدَ رَجْلَيْكَ جَاءَتْ	فَلِمَاذَا هَذَا الْجَوَى وَالْحِدَادُ
يَا أَبَانَا حَزَنٌ بَعَيْنِيكَ يَبْكِي	وَعَلَى "السَّيْنِ" بِهَجَّةٍ وَوَدَادُ
مَا الَّذِي فِي عُرُوقِ قَلْبِكَ يَجْرِي	شَجْنٌ دَائِمٌ وَذَكَرِي تَعَادُ
فَوَدَاعًا يَا جُرْحَ قَلْبِي وَدَاعًا	وَوَدَاعًا فَدَمْعَتِي ضِمَادُ
وَوَدَاعًا يَا غُوطَةَ الشَّامِ عَهْدِي	أَنْنِي الْوَعْدُ وَالْهَوَى مِيعَادُ
وَسَلَامًا عَلَى حَمَاةٍ وَإِنِّي	يَشْهَدُ اللَّهُ - سَيْفَهَا وَالْمَدَادُ

و أخيرا لا يسعنا في نهاية هذه القطوف الشعرية الدانية إلا أن نويد المحكمين في قناة المستقلة
لما توجوا به شاعرنا د.محمد نجيب مراد بلقب شاعر العرب بعد تقدمه على ما يزيد على
ألف وثلاث مائة شاعر لبيب. و الحمد لله رب العالمين.

أحمد الياسين

بقلم الدكتور: عطية الوهبي.

الشيخ أحمد قد قضى يا صاح
البدر ياسين الذي ملأ الدنيا
أدى صلاة الفجر في محرابه
يا أحمد الياسين كم سطرت من
وتلوت آيات الكتاب مُرتلاً
يا أيها الطود المنيع جنابه
نضرت آمال الجهاد وذُدت عن
ونسجت للأوطان بُرد نضالها
فانسلت الجوزاء تلثم عطره
وبدا سهيلاً ثائراً متلهباً
وتأوهت زهر السماء لفقده
مسريلاً بدمائه في السّاح
علماء وإقداماً وخفض جناح
فهوت عليه قنابل السفاح
أسفار برّ بالتقى لا الرّاح
بالليل والآصال والإصباح
جددت سيرة طارق وصلاح
مسرى النبيّ بهمة وصلاح
بدم زكيّ طاهر سيّاح
وتوشّحت منه بخير وشاح
متشوقاً لوقعة وكفاح
وبكت فعال السيّد الججاج

ذَرَفَتْ عَيْونُ المجدِ وَابيضَتْ على
وَاستنْفرتْ شَمُّ الجبالِ جنودَهَا
زَأرتْ أسودُ الغيلِ في آجامِهَا
مِنْ كلِّ مِقْدَامٍ أَبِي ماجِدِ
حازَ الفضائلَ غَرَّهَا وحِسانِهَا
خَطَبَ الجِنانَ نعيمِهَا وحِسانِهَا
طوبى لَهُ قد نَضَرَ العَهْدَ الَّذِي
تَبَّأ لِقومِ غَرَّهم وَعَدُّ العِدا
إِنْ هَرَّهم كَلْبُ العَدُوِّ عَشِيَّةً
أَلْفَتَهُمُ الصَّهْبَاءُ أَخداناً لَهَا
ما آخَوْا الهِجاءَ يوماً والقَتَا
وتَهوَّدُوا وتمجَّسُوا وتأبَّسُوا
كم سارَعُوا في لَثَمِ خَدِيهَا وهم
سُحَقاً لَهُم مِنْ عَصَبَةِ مشوُومَةٍ
الحقُّ تحرسُهُ السَّواعِدُ والطُّبَا
بدرٍ منيرٍ مُثخِنٍ بِجِراحِ
وتسربلتِ بصوارِمٍ ورماحِ
ونَضَتْ ثيابَ الذَّلِّ والأتراحِ
وَأري العزيمةَ عاشقٍ لكفاحِ
جوداً وإحساناً وفيضَ سماحِ
عجلانَ يبغِي رحمةَ الفَتَّاحِ
بينَ الإلهِ وأُمَّةِ الإِصلاحِ
مِنْ كلِّ وِغْدٍ شاتئٍ نَبَّاحِ
طاروا إِلَيْهِ سُرَى بغيرِ جناحِ
ظنُّوا البطولةَ في خَنَى وسِفاحِ
وتَنافَسُوا في ميسِرٍ وقِداحِ
ولقاءِ (ليفني) مُهجةِ الأرواحِ
يتطَيَّبونَ بعِطرِها الفِواحِ
والقدسُ تلعنهم بكلِّ صباحِ
لا يُسْتَرَدُّ بمأتمٍ ونُواحِ

أخطاء

الآباء مع الأبناء

وموقف الفقه المعاصر منها (٢)

الأستاذ المشارك - الدكتور/ عبد الكريم عبد الحميد الخلف

الخطأ الرابع - التفكك الأسري وكثرة المشاجرات بين الوالدين:

في دراسة عن أثر التفكك الأسري في عودة الأحداث إلى الانحراف يقول الأستاذ عبدالله السدحان: أجريت على تسعة وثلاثين عائداً إلى دار الملاحظة الاجتماعية في الرياض: ظهر من خلالها أن نسبة ليست بالقليلة من أفراد العينة يعيشون في جو أسري متصدع ومتفكك، إما بطلاق أحد الوالدين، أو وفاة أحدهما، إضافة إلى سوء العلاقة بين الآباء والأمهات وكثرة المشاجرات بينهم (٢١). إن الانفصال أو الطلاق العشوائي وغير المدروس، ولم يتم تحديد من هو المسؤول عن الأبناء في حال الطلاق، أو الخلع، أو الفسخ يجعل العواقب مدمرة للأولاد، وواقع الحال يحكي أن أبناء المطلقة أو المخلوعة، أو المفسوخة يتخبطون في الأرض حيث شاؤوا لا رقيب عليهم ولا حسيب، وهذا إخفاق تربوي ناتج عن الانفصال الذي أصبح ظاهرة واقعية، ومن أسباب هذا الإخفاق التربوي:

١ - أن الانفصال كان وقوعه مغاير لقواعد الشرع المتضمن في قوله تعالى: (أَوْ تَسْرِحُ بِإِحْسَانٍ [البقرة: ٢٢٩]، ويصحب هذا الانفصال التشهير والتفقيص من كلا الطرفين وهذا كله أمام الأبناء، وهذا ما يزيد من البعد بين الأبناء وآبائهم وأمهاتهم، ويسهم هذا الأسلوب المذموم في انعدام احترام الأب أو الأم، وكل هذا يدفع الأولاد نحو التمرد والتحرر غير المسؤول، ومن ثم إلى الضياع والتشرد.

٢ - الانفصال المشحون بجو من الخلاف والتلاعب ونحوه يجعل فرصة التقاء الأب بأولاده صعبة وإن كان حريصاً، وهذا يدفع الأب لاتخاذ البعد موقفاً لكي يتحاشى المشكلات ويسعى إلى تأمين السلم والسلامة، وما أن يكبر الولد إلا وقد ظهرت مشكلاته على السطح، فنجدته يفشل في دراسته، وفي رفقته، وفي مسيرته الحياتية، كما تظهر تصرفاته المبهمة المرئية.

وأخيراً أقول: وبكل حزن وأسى إن يُتم الانفصال والتربية والإرشاد أشد ضراوة وسوءاً من يُتم فاقد الوالدين لذلك كان على الدعاة التثمير عن السواعد، وأن يؤدي المربون وأولياء الأمور دوراً كبيراً في تنشئة ورعاية يتامى التربية والانفصال لردهم إلى الصواب وقطع الهوة، وجبر النقص المتولد عن غفلة الأبوة وإهمال الراعي لذلك، هذا والله ولي الهداية والتوفيق

الخطأ الخامس - استهانة الآباء بتساؤلات الأبناء:

قد يتصور بعض الآباء أن كثرة تساؤلات أبنائهم وهم في سن الطفولة من السمات السلبية المقيتة، ومن ثمَّ يجب عليهم النهي عن هذه التساؤلات، وهذا خطأ من أخطاء الآباء على الأبناء، والصواب أن يقوم الآباء بتشجيع الأبناء على الإكثار من التساؤلات لأنها تكون عندهم شيئاً من المعرفة وتنمي عندهم ملكة النقد.

فالتساؤلات عند الأطفال تكشف في كثير من الأحيان عن جانب الاهتمام عندهم، فالطفل عندما يتساءل بصورة مستمرة وملحة عن معرفة بعض الأشياء من حوله، أو بعض المواقف والظواهر يكون أكثر اهتماماً بها من تلك الأشياء والمواقف والظواهر التي يتساءل عنها تساؤلاً عابراً، ومن الأمور التي تظهر أهمية تساؤلات الأطفال هي: أن عملية التساؤل نفسها تمثل واحدة من أهم الاستراتيجيات التي تستخدم لتعليم وتربية الأطفال، وهذا يكون إما بتوجيه التساؤلات لهم، وإما بتشجيعهم وتدريبهم على طرح ما لديهم من تساؤلات ومحاولة الإجابة عنها، حيث يمكن استخدام التساؤلات لتنمية قدرة الأطفال على التفكير. لذلك نرى الكثير من الآباء والأمهات يضيقون ذرعاً بأطفالهم عندما يكثر من طرح التساؤلات، بل ينهرونهم ويوبخونهم ويؤنبونهم على مثل هذه التساؤلات وخاصة منها التساؤلات التي يعجز الآباء والأمهات عن الإجابة عنها، ومن هنا نجد إجابات الآباء عن هذه التساؤلات إجابات سلبية لا تحقق الأهداف المرجوة من تلك التساؤلات لذلك نرى الآباء والأمهات يواجهون هذه التساؤلات بالعنف والقسوة فينهرون الطفل ويعاقبونه ويأمرونه بالكف عن مثل هذه الطروح، وأمام هذه التساؤلات

الكثيرة يجد بعض الآباء أنفسهم مضطرين إلى أن يتخلصوا من إلحاح أطفالهم بالإجابة سواء كانت صادقة، أو غير صادقة، تامة أو ناقصة، مزيفة أو محرفة، مناسبة أو غير مناسبة لمستوى عقله، ومن هنا فقد يكتشف الطفل أن هذه الإجابة لا تشبع رغبته وغير كافية لسؤاله فعندها يفقد ثقته بأبويه، ومن ثمَّ يلجأ إلى الآخرين كأقرانه وخدمه وأصحابه لأخذ الإجابة عمّا يدور في ذهنه، وقد يعطي إجابات ضارة نفسياً وفكرياً ومعلوماتياً، فعندها يداهم الخطر هذا الطفل حيث يؤدي به الأمر إلى تشكيل تصورات خاطئة عن الموضوعات والظواهر التي يتساءل عنها، وبالتالي يسلك سلوكاً سيئاً وخاطئاً تجاه هذه الموضوعات والأحداث والظواهر، ولكن الحق يقال أن بعض الآباء لا يستهينون بالتساؤلات ولكن يتجاهلون أسباب كثيرة ومبررات تدفعهم إلى سلوك أسلوب التجاهل تجاه تساؤلات الأطفال وإهمالها، أو حتى الإجابة عليها إجابة عشوائية وبطريقة غير علمية، ومن أهم هذه الأسباب:

١- عدم إقبال الآباء على إجابات الأطفال والعزوف عن تساؤلاتهم:

اعتاد المربون والمرشدون من الآباء وغيرهم من هذا المسلك التربوي أن يستمعوا ويفرحوا إذا ما أجاب الأطفال عن التساؤلات التي يطرحونها عليهم أكثر من سعادتهم بالتساؤلات المطروحة من قبل الأطفال عليهم. ومصدر هذا الفرح والسعادة الغامرة هو ظنهم بأن الأطفال اكتسبوا قدراً لازماً من المعارف المعلوماتية ومن ثمَّ هم في غمرة من السعادة بهذا الإنجاز، ومن هنا يظهر التجاهل تجاه تساؤلات هؤلاء الأطفال، أو على الأقل الإجابة غير الكافية، أو غير المناسبة، ومن غير تأمل أو تدبر هذه التساؤلات ، أو الوقف على أفكارها وعناصرها الأساسية.

٢- سذاجة تساؤلات الأطفال وغرابتها: (٢٣) قد يستهين الآباء والأمهات بتساؤلات الأطفال فلا يهتمون بها ولا يجيبون عنها لغرابة هذه التساؤلات أو ثقافتها، أو عدم جدتها، وهم ينتاسون أن من حق هؤلاء الأطفال أن يفكروا بطرقهم الخاصة التي تمتاز بالبساطة والوضوح، وأن هؤلاء الأطفال يطلقون أسئلتهم البسيطة الساذجة عن رغبة صادقة لديهم في معرفة واكتشاف العالم الذي يحيط بهم.

٣- تساؤلات الأطفال المخرجة والمعقدة: قد يطرح الأطفال تساؤلات ترتبط بمجريات اجتماعية ودينية وأخلاقية ضمن إطار لا يسمح بمناقشتها، أو تناولها، وتداولها بين الأطفال كالجانب الجنسي، والعلاقات الجنسية، وعلى وجه الخصوص في المجتمعات

الإسلامية، وهنا الإجابة تكون محرجة للآباء، ومن ثمَّ يتم إهمالها، وقد تتعلق هذه التساؤلات بموضوعات علمية كأن يسأل الطفل عن الكوكب، أو النجم، أو غير ذلك من الظواهر العلمية التي يشاهدها في التلفاز، أو غير ذلك من المصادر المعرفية، ومن المعلوم أن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات تحتاج إلى مستوى عالٍ من المعرفة والثقافة العلمية، ومن ثمَّ تصعب على بعض الآباء الإجابة عليها فيهملها.

٤ - إهمال تساؤلات الأطفال لتجاوزها قدراتهم العقلية:

وهذا سبب من أسباب إهمال الآباء والأمهات تساؤلات الأطفال وعدم الإجابة عنها لأن هذه التساؤلات خارجة عن قدرات الطفل العقلية كأن يسأل من أين أتيت إلى هنا، لماذا القمر دائري، وكيف يتكلم المذيع، وكيف نبتت هذه الشجرة، وغير ذلك من الأسئلة التي تتجاوز قدرته. فهذه الأسئلة فوق قدرة الأطفال العقلية، وهي في غاية الصعوبة بل لا يستطيع الإجابة عليها، وبالتالي تهمل من قبل الآباء والأمهات.

ولكن لا نبرح هذا الموضوع حتى نقول كلمتنا فيه، وهو أنه مهما كانت التساؤلات الصادرة المطروحة من قبل الأطفال صعبة ومحرجة أو غريبة أو ساذجة أو تافهة يجب عدم إهمالها أو تجاوزها من قبل الآباء، أو تقابل بالرفض أو التجاهل، والإجابة عنها بطرق غير علمية وغير مناسبة كل هذا يترتب عليه نتائج سلبية خطيرة كإحباط الطفل وتثبيط همته وحماسه، وإخفاء مقدراته الحقيقية على الحوار، والمناقشة، وإغضابه، وإثارة القلق لديه فضلاً عن زيادة شعوره بالتوتر والخوف والوحدة والهجر، الأمر الذي ينتهي بالطفل إلى الاستكانة والإحجام عن طرح أي تساؤل خشية تعرضه للوم والتوبيخ، أو يؤدي به إلى حجب تساؤلاته عن الكبار، والبحث عن مصادر أخرى تجيب له عن هذه التساؤلات مما قد يزوده كما قلنا سابقاً بمعلومات خاطئة تؤدي إلى نتائج ضارة.

وأخيراً نقول: إن كثرة تساؤلات الأطفال وتنوعها دليل على تفوق الطفل وتعطشه للمعرفة، لذلك من الخطأ الكبير تقديم إجابات غير صادقة، أو ناقصة، أو محرفة لأسئلة الطفل، ومهما كانت صعوبة الأسئلة أو غرابتها أو تافهتها فلا ينبغي معاملتها بالرفض، أو التجاهل، ويمكن أن نستنتج مما تقدم أن تساؤلات الأطفال يمكن أن تؤدي ثلاث وظائف تكوينية تمثل أهمية كبيرة لنمو هؤلاء الأطفال، وهذه الوظائف هي:

١- تحقيق التوازن النفسي لدى الأطفال.

٢- تدريب الأطفال على ممارسة التفكير الاستنباطي.

٣- مساعدة الأطفال في معرفة القيم الخلقية والسلوكية التي تقع داخل الإطار الثقافي والاجتماعي الذي يعيشون فيه، ومن الدلائل التي تشير إلى أهمية تساؤلات الأطفال أن هذه التساؤلات في حد ذاتها تمثل دليلاً على الموهبة والتفوق العقلي، حيث يمكن لأي أم أو أب أن يعرفا موهبة أطفالهما وتفوقهما العقلي من خلال تساؤلاتهم، وذلك بمقارنة هذه التساؤلات بالتساؤلات التي يطرحها أطفال آخرون في مثل عمرهم فإذا كانت تساؤلات أطفالهما جادة ومتميزة، ومتعمقة يكون ذلك مؤشراً على موهبة هؤلاء الأطفال وتفوقهم العلمي.

الخطأ السادس: وقوف الآباء أمام رغبات الأبناء، وعدم مراعاة استعداداتهم الفطرية: على المربين والدعاة، والآباء والأمهات المخلصين أن يتحسبوا بعض الأمور التربوية المهمة، ويهتموا بها جيداً، موجهين أنظارهم إليها، وعلى رأس هذه الأمور • معرفة ما يميل إليه الولد من رغبات، وما يناسبه من أعمال، وما يبتغيه من أهداف وغايات، وآمال في حياته العملية.

ومن المعلوم أن الأطفال يتفاوتون من حيث الأمزجة، والذكاء، والتحمل، والطاقة، والاتزان، ونحو ذلك، ومن هنا لا بد على المربي الحكيم، والأب الفطين وضع الولد في المكان المناسب الذي يتفق مع ميوله، وفي البيئة التي يصلح أن يعيش فيها. فإذا كان الولد حاد الذكاء، ولديه الرغبة في متابعة الدراسة، وإتمام التحصيل العلمي، أو عنده القدرة على الدخول في التخصصات العلمية كالطب، أو الهندسة، أو نحو ذلك من الأقسام العلمية التي لا يدخلها إلا من كان لديه ذكاء جيد • فعلى الأب أن يسهل لولده أسباب الوصول إلى هدفه وغاياته، وتحقيق آماله.

وإن كان ذكاء الولد متوسطاً فيعطى الاختيار، فإما أن يتابع الدراسة ضمن التخصصات التي تتناسب مع قدراته العقلية، وإن كان عنده ميول حرفية كأن يرغب في أن يتعلم صناعة ما، أو مهنة من المهن • فعلى الوالد، أو المربي أن يهيئ له الأمور حتى يصل إلى هدفه المنشود، وإن كان ذكاء الولد محدوداً، أو كان من النوع البليد • فعلى الوالد أو المربي أن يرشده إلى عمل يتفق مع إمكانياته العقلية، ويلئم مزاجه واستعداده، وهذا ما يتضمنه حديث عائشة رضي الله عنها: **(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)** (٢٤) وكذلك حديث ابن عباس: **(اعملوا فكل ميسر**

لما خلق له(٢٥)، وعلى ضوء هذه التوجيهات النبوية في مراعاة ميول الولد، طالب علماء التربية الإسلامية بإلحاح، وعلى رأسهم ابن سينا. بمراعاة ميول الولد واستعداداته الفطرية، وقدراته الطبيعية عند إرشاده إلى المهنة التي يختارها، أو الدراسة التي يتوجه إليها، وقد نادي ابن سينا بالعناية بدراسة ميول الصبي، وجعلها أساساً لاختصاصه ووجهته حيث قال: " ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتتقاد بالطلب والمرام دون المشكلات والملاءمة ما كان أحد غفلاً من الأدب، وعارياً من الصناعة . وإن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف العلوم والآداب، وأرفع الصناعات . وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منه بشيء، ولذلك ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي، ويسبر قريحته، ويختبر ذكاهه . فيختار له الصناعات بحسب ذلك.(٢٦).

وقد أعطى عبد الرحمن بن الجوزية كل الاهتمام والعناية بتوضيح أهمية الاستعدادات الفطرية التي لدى الصبي، ومراعاتها في توجيهه حيث قال: " إن الرياضة لا تصلح إلا في نجيب، والكودن (البغل) لا تنفعه الرياضة، والسبع وإن ربي صغيراً لا يترك الافتراس.(٢٧)، والمقصود من كل ذلك أن للذكاء والغباوة أثراً كبيراً في تفوق الولد، أو إخفاقه في التكوين الثقافي، والإعداد العلمي.

المبحث الرابع:

دكتاتورية الآباء وتطبيق قانون الطوارئ على الأبناء:

بعد الاطلاع على هذا الموضوع تبين أن بعض الآباء يستخدمون أسلوباً دكتاتورياً مقيتاً مع أبنائهم كتوجيه الأوامر العسكرية إليهم والتي لا تقبل الحوار والمناقشة أي: (نفذ ثم اعترض)، والتعامل المزاجي معهم دون ضابط شرعي أو مقياس واقعي، فمثل هذا الأسلوب المتحجر يؤدي إلى فشل وضياع الأولاد، وخروجهم عن المسار الصحيح، ومن أهم سمات هذا الأسلوب الدكتاتوري وتطبيق قانون الطوارئ ما يأتي:

١ - فرض القيود والحواجز أمام الولد، والإكثار من الخطوط الصفراء والحمراء: من خلال التعايش مع الآخرين، ومن خلال التجارب الحياتية يتضح لنا أن بعض الآباء يقومون بتطبيق الموروث الأسري الجاهلي على أولادهم • فيضعون الحواجز والقيود متذرعين بدعوى أن هذا الفعل لا يليق بعرف الأسرة، وذلك مخالف لتقاليدها، وإذا ما أراد الولد الحوار والمناقشة زجر ونهر بدعوى الاحترام والتقديس والتبجيل لمن هو أكبر منه، وكل هذا يجعل الولد لا يتجرأ على مناقشة وحوار والده، أو الجلوس معه في مجلسه والتقرب منه، ومن هنا تظهر الحواجز بين الوالد وولده، وتكثر الخطوط الصفراء والحمراء، ويتم إحكام تطبيق قانون الطوارئ على أفراد الأسرة، ومن ثمَّ يسود البيت حالة استنفار وقلق وتنافر وتفكك أسري لا يحمد عقباه.

٢ - سوء استخدام الحوار وطرقه: إن كثيراً من الآباء لا يحسنون الحوار مع أبنائهم، بل لا يؤمنون به، فإذا ما أراد الولد فتح باب الحوار مع والده أغلقه الوالد بقوله: لا نقاش ولا حوار في ذلك مدعماً قوله هذا: (أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة، فيضطر الولد أن يسكت على مضمض كابتاً في نفسه مقهوراً هذا في حال عدم قبوله الحوار، وأما في حال قبول الوالد الحوار فإن طريقة حوارهم تقليدية مختلفة تربوياً كأن يقول الوالد لولده: إذا أردت الحوار فعليك أن تقف وتتكلم باحترام، أو يقول: تكلم وبدون فلسفة، وكل هذا بمنطق التهكم والسخرية من قبل الأب، وهذا يجعل الوالد بواد والولد بواد آخر.

٣ - الانغلاق البيئي: وقد تكلمنا عليه ما فيه الكفاية.

٤ - الانغلاق الثقافي: وقد سبق لنا القول فيه.

٥ - الانغلاق الاجتماعي: وقد ورد ذكره، وهناك أسباب كثيرة، وقد اكتفيت بهذا القدر خشية الإطالة.

لهذا كان علينا جميعاً - معشر الآباء والأمهات والمربين أن نقف ووقفات ووقفات مع أنفسنا للمراجعة والمحاسبة بدون خجل أو وجل.

وخلاصة القول:

ومما تقدم نستخلص أنّ من أراد بناء أسرة مثالية قوية متماسكة عليه أن يراجع نفسه، والمراجعة من طبيعة الإنسان العادل، ووقفة عادلة مع النفس ومحاسبة فيها إرجاع الحق إلى نصابه، والمراجعة والمحاسبة النفسية كما تقدم من ألمع الومضات السلوكية التربوية، ومن هنا فعلى الآباء والأمهات والمربين الابتعاد عن الأخطاء التربوية القائلة مع الأبناء، وأن يتمسكوا بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف في معاملاتهم مع أبنائهم، ولا يُسيئون استعمال سلطتهم الأبوية، وألا يغفلوا عن أبنائهم، وألا يتعاملوا مع أفراد الأسرة معاملة سيئة كالشتم والتوبيخ والتفريع ونحو ذلك لأن هذا يجعل الترابط الأسري ضعيفاً، وعلى الآباء ألا يتمسكوا بالموروث الأسري الجاهلي التقليدي كالانغلاق البيئي، والانغلاق الثقافي، والانغلاق الاجتماعي، وأن يسلكوا السلوك التربوي الصحيح الذي ينهض بأفراد الأسرة إلى الأعلى ويتوجه بالأولاد إلى المسار الصحيح في حياتهم . هذا والله ولي الهداية والتوفيق

الهوامش

- (٢١) - ينظر كتاب أسباب العودة إلى الجريمة - الأستاذ عبد الله السدحان (ص/٢٣)، ومجلة البيان العدد (٢٤٤) (ص / ٢٤) .
- (٢٢) - (البقرة - ٢٢٩) .
- (٢٣) - ينظر مجلة اختيار الأسرة المتميزة - العدد ٦٤ الصادر في رجب ١٤١٩هـ -
- (٢٤) - رواه مسلم وأبو داود .
- (٢٥) - رواه الطبراني عن ابن عباس - (١ / ١١٢) .
- (٢٦) - ينظر كتاب التربية الإسلامية وفلاسفتها - للأستاذ محمد عطية الإبراشي - الطبعة الأولى - دار الأندلس - بيروت (ص / ١٩٧) .
- (٢٧) - ينظر المرجع السابق .

الكذب وأثره السلبي في المجتمع

بقلم

د/ أحمد السعيد

الكذب من الكبائر، وهو خصلة ذميمة دنيئة، وذنوب من أفبح الذنوب، وفاحشة من الفواحش المهلكات، ووزرٌ يحار الإنسان فيه، ويعجز عن معالجته، ويزداد قبح الكذب وشناعته إذا كان كذباً على الله تعالى أو على رسوله - صلى الله عليه وسلم- فهذا مما توعده الله ورسوله عليه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة. والكذب في اللغة: ضد الصدق، يقال: حمل فلان ثم كذب، إذا جبن ونكل، ومعناه: كذب الظن به، أو جعل حملته كاذبة غير صادقة، وكذب لبن الناقة وكذب: ذهب، وكذب عنا الحر: انكسر، وكذبتك عينك: أرتك ما لا حقيقة له^(١).

فالكذب خصلة من خصال الشرِّ والنفاق، وكل ما يمت إلى الذم والفعل القبيح، فهو صفة ذميمة تلحق بصاحبها الذل والهوان والخيبة والخذلان، صفة ذمها الله تعالى ورسوله الكريم، وعدت من الكبائر المحرمة، ودلت على ذلك نصوص عديدة من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، شملت حال المنافقين المشركين الذين حادوا عن طريق الحق وجادة الصواب، وبما أن الكذب من الكبائر فقد جاء التحذير منه في آيات كثيرة تدعو ابن آدم إلى اجتنابه والبعد عنه، وعدم الوقوع في حبائله، لأنه يؤدي إلى الذل والمهانة في الحياة الدنيا، وإلى العقوبة والجزاء [يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] {الشعراء: ٨٨- ٨٩}، ومن الآيات التي تحذر من الكذب في قوله تعالى: [مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

(١) أساس البلاغة ٣٠٠-٣٠١، مادة كذب.

عتيداً [ق: ١٨] أي: كل ما يتكلم به الإنسان من خير أو شر أو صدق أو كذب، فإن الرقيب العتيد الملك الموكل بإحصاء كل ما يقوله ابن آدم، أو يتلفظ به فإنه محسوبٌ عليه، وسيلقى جزاءه، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر^(٢)، وقوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ] [غافر: ٢٨] لأنه أسرف على نفسه بالشرك والضلال، والمقصود هنا والله أعلم هو فرعون لعنه الله، لأنه أسرف وكذب على الله بادعائه الألوهية ومبالغته بالربوبية^(٣).

وقوله تعالى: [قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ] [الذاريات: ١٠] أي: لعن الكذابين الذين يفترون على الله الكذب، وهو دعاء بالهلاك على أصحاب ذلك القول المختلف، لأن المقصود بقتلهم أن الله يهلكهم، وذلك يكثر أن يقال: قاتله الله، ثم أجري مجرى اللعن، وذلك تحقير ومهانة، والتحقير هنا من سوء أحوال المدعو عليه بمثل هذا^(٤).

وقوله تعالى: [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] [الأنعام: ٢١]، جاء الاستفهام في الآية الكريمة على صيغة الإنكار الذي "يتضمن معنى النفي أي: لا أحد أظلم لنفسه، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأشنعه اتخاذ المخلوق معبوداً"^(٥)، والأنكى من ذلك كله الذي يفتري الكذب ويختلق على الباري عزَّ وجلَّ ما لا يليق به، ويكذب بالقرآن وإعجازه. يقول المفسر أبو السعود: بأن كلاً من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم، فكيف وهم قد جمعوا بينهما، فأثبتوا ما نفاه الله، ونفوا ما أثبتته! قاتلهم الله أنى يؤفكون^(٦).

وقوله تعالى: [بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ] [يونس: ٣٩] أي: سارع المشركون إلى التكذيب بالقرآن العظيم، وإلى الطعن به قبل أن يفقهوه ويتدبروا ويعلموا كنه أمره وقبل أن "يقفوا على تأويله ومعانيه ... كذبوا به على البديهة

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢٤٥/١٢، والدر المنثور للسيوطي ٦٨٣/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٣٧٧/٢١، والدر المنثور للسيوطي ٢١٤/٧.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٩٥/٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٢/٢٧.

(٥) تفسير النسفي ٦٦/٢.

(٦) تفسير أبو السعود ٨٨/٢.

قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للأباء، وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً، فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به^(٧). تمردوا عناداً وتكبراً، لأن القرآن الكريم تحدّاهم بأنفس شيء امتازوا به على من سواهم في عصرهم من فنون الأدب وفصاحة الكلمة ودقة الأسلوب وروعة البيان، ومع ذلك كله أكد على عجزهم وإعجازه لهم، فكان كذبهم بغياً وحسداً وعناداً^(٨).

وقوله تعالى: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} [الأنعام: ١٤٨] فتدل الآية الكريمة على أن كفار الأمم البائدة، كذبوا رسلهم قبل معرفة معجزاتهم، وقبل النظر والتدبر بما جاؤوهم به من هداية ورشاد، فكان ذلك عناداً منهم وتقليداً أعمى لما كان عليه آباؤهم^(٩). وبقية قوله تعالى: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} [يونس: ٣٩]، فهي خطاب للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- بأن المنتقم الجبار قد أخذ هؤلاء المشركين الكفار المكذبين، بالعذاب الأليم والهلاك المريع، بسبب تعنتهم وظلمهم وبغيهم، فكما هو الحال بأولئك المجرمين السابقين، سيفعل بالظالمين المتعنتين الطاغين الغادرين، الذين تصنعوا لباس الكذب، وأخذة حرفة ومنهاجاً، ليضلوا به عن جادة الحق والصواب، وطريق الهداية والرشاد، وجعلوه ذريعة وحجة لتغطية ما سوّلت لهم أنفسهم من عمل شنيع خانوا به الله ورسوله^(١٠).

وقوله تعالى: {فَلَمَّا صَدَّقَ وَكَانَ كَذِبًا وَتَوَلَّى} [القيامة: ٣١-٣٢] أي: كذب بالرسول - صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به، وتولى عن الطاعة والإيمان، وتدل على اشتغال الكافر على التكذيب بقلبه، وترك العمل بجوارحه وتولى بفعله، وكذلك تسجيلاً عليه بكمال طغيانه، وإيداناً بتضاعف عقابه ومهانتة^(١١).

وقوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٨-٩-١٠] أي: الذي يستغني عن عبادة ذي الجلال والإكرام، وبأنه يكذب - لا إله إلا الله، ويكذب بالجنة وبنعيمها وثوابها والجزاء في الدار

(٧) تفسير النسفي ١٦٤/٢، وينظر: تفسير ابن كثير ٢٧٠/٤.

(٨) ينظر: المصدران أنفسهما.

(٩) ينظر: المصدران نفسهما.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري ٩٣/١٥، وفتح القدير للشوكاني ٦٤٦/٢.

(١١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٥٨/٢، وتفسير الألوسي ٦٦/٨.

الآخرة، وتسهيل طريق العسر، أي: تسهيل طريقه للشر بجهنم، وذلك عاقبة العسر، والعياذ بالله^(١٢).

وقوله تعالى: [أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى] [العلق: ١٣، ١٤]، إيذان وإخبار للنبي - صلى الله عليه وسلم - بأن أبا جهل سيكذبه حين يدعوهُ إلى الإسلام، وأنه سيتولى ويكذب بكتاب الله عزّ وجلّ، ويعرض عن الإيمان، ويَلَهُ أَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، ويعلم فعله، فذلك تقرير وتوبيخ، وبأن الله سبحانه وتعالى سينتقم منه، وسيجازيه على أفعاله^(١٣).

هذا وقد اعتُبرَ الكذب من الكبائر المحرمة، لكن الأعظم والأخطر من ذلك ألا وهو: قول الزور وشهادة الزور، وما أدراك ما قول الزور ..؟ قال تعالى: [فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ] {الحج: ٣٠} أي: اجتنبوا الرجس الذي هو من الأوثان، وقرن الشرك بالله بقول الزور، وشهادة الزور تعدل الشرك بالله. يقول الإمام النسفي - رحمه الله - في تفسير قول الزور إنه "من أعظم المحرمات وأسبقتها خطراً، ومن الأوثان بيان للرجس، لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء، كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو من الأوثان، وسمّى الأوثان رجساً على طريقة التشبيه يعني: أنكم تنفرون بطباعكم عن الرجس، فعليكم أن تنفروا عنها جميعاً، وجمع بين الشرك وقول الزور، وهو الانحراف، لأن الشرك من باب الزور، إذ المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة"^(١٤).

لذا عبّر عن ذلك في غاية المبالغة في النهي عن عبادة الأوثان وتعظيمها، وكذلك قول الزور يُعدُّ جريمة مقرونة بالشرك، كما هو حال الأوثان وعبادتها. هذا غيظ من فيض في كتاب الله العزيز في النهي عن الكذب واجتنابه، وكذلك فقد ورد التحذير على لسان الصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم - بأحاديث كثيرة منها: فقد روي عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال:

(١٢) ينظر: تفسير القرطبي ٨٤/٢٠، وتفسير ابن كثير ٦٦٨/٤.

(١٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٠٤/٢٠، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٣٤/١٦.

(١٤) تفسير النسفي ١٠١/٣، وفتح القدير للشوكاني ٦٤٧/٣.

الشُّرك بالله، وعقوقُ الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت^(١٥).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُؤتمن خان^(١٦)، وفي حديث آخر عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً^(١٧). وفي رواية أخرى لهذا الحديث الشريف: إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً^(١٨).

أخي الكريم من الذي يتحرى الكذب.. ولماذا..؟ إن من يتعمد الكذب وما فيه من صفات خسيصة ورخيصة، ومن يتعاطاه لا بُدَّ له من حمل تلك الصفات.. وإلا لَمَّا تجرأ على شيء تعافه نفسه وتأباه، ولكن الأدهى من ذلك هو مَنْ يتحرى الكذب ليضلَّ به عن سبيل الله أو ما سواه، من تفرقة بين المسلمين أو من نفث سموم اللؤم والحقد والغدر والخيانة بين الناس، ليتسنى له ركوب أمواج الماء العكر، والأجواء المشحونة بالفرقة والضلال، حيث لا مكان لأمثال هؤلاء في دائرة الصفاء والنقاء والألفة والمحبة، لأنهم لا يعيشون إلا كخفافيش الظلام أو التسلق على حساب الآخرين، ومن باب القياس أو المقارنة إن صح ذلك مع أصحاب الأفكار البائدة وشعارهم الرئيس: اكذب ثم اكذب حتى تصدق نفسك.. لا أظنهم بعيدين عن يتحرى الكذب، وإن كان مسلماً أو محسوباً على المسلمين.. يا ويلهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، ومع ذلك كله ترى مَنْ تُسوّل له نفسه أن يكذب أو بدافع من جهات تتربص بالمسلمين الدوائر، أو.. أو.. يقوم بالكذب زوراً وبهتاناً

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٤٥/٩، ومسلم في صحيحه ٩١/١.

(١٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٧/١، ومسلم في صحيحه ٧٨/١.

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٧/٢٠، ومسلم في صحيحه ٢٠١٢/٤.

(١٨) ينظر تخريجه في: مسند الإمام أحمد ١٨٢/٧، وسنن أبي داود ٧١٥/٢٥.

وافترءاً، وأظن أن هؤلاء الكذابين ليسوا بعيدين عن مقولة عمرو بن العاص - رضي الله عنه - لمسيلمة الكذاب عندما قال له: إنك لتعلم أنني أعلم أنك كذاب. وقد عدَّ الإسلام الحنيف الكذب أعظم جريمة من الزنا ومن السرقة، فلا يجتمع الكذب مع الإيمان، ولأن صفات كل منهما تتنافى وتجاफी صفات الآخر، فالكذب إذن من صفات المنافقين والأفاكين والمارقين، والكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب.

إن الكذب وإن كان أصله محرماً، فيجوز في بعض الأحوال بشروط...[منها]: أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يُمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً، وإن كان واجباً كان الكذب واجباً، فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، أو أخفى ماله وسئِلَ إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه، واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس، فَيَنمي خيراً أو يقول خيراً^(١٩). وفي رواية أخرى: قالت أم كلثوم: ولم أسمعهُ يُرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، يعني الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها^(٢٠). والمراد بالكذب في هذا الحديث ليس الكذب الصريح، وما جاء من الإباحة في هذا، المراد به التورية، واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب، مثلاً يأتي بكلمات محتملة، يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، كأن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها، كذا وينوي إن قدر الله ذلك. إذن فالكذب المباح محدد بنص الحديث، ولا يجوز في غيره، ويعتبر محرماً كل ما سواه، فلا يستثنى من الكذب شيء^(٢١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم:

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/١٠.

(٢٠) المعجم الأوسط للطبراني ٨٦/٩، والدر المنثور للسيوطي ٦٨٤/٢.

(٢١) ينظر: السلسلة الصحيحة للألباني ٤٤/٢.

شيخ زان، ومَلَكٌ كَذَّابٌ، وعائلٌ مستكبر^(٢٢)، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: مَنْ كَانَ يَوْمًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ^(٢٣).

ويذكر الإمام شمس الدين الذهبي أنه: "سئل بعضهم كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلةً إن استعملها سترت العيوب كلها، وهي حفظ اللسان. جنبنا الله معاصيه، واستعملناه فيما يرضيه، إنه جواد كريم"^(٢٤).

من البدهي أن كل مسلم يعلم عقوبة الكذب في الدنيا كما في الآخرة، إلا أنه يتناسى ذلك، وما لهذا الأثر في الدنيا، وربَّ كلمة واحدة تؤدي إلى إفساد مجتمع بكامله، ومن المعلوم حقيقة أن النقيضين لا يلتقيان أبداً، أو بمعنى أدق من ذلك، أن الخير لا يلتقي مع الشر، وأن الحب لا يلتقي مع الكره، وغير ذلك كثير.

إنَّ الكذب صفة الجبناء الضعفاء، ومن يقبل الذل والهوان لنفسه، فلا يلتقي مع الشجاعة والإقدام أبداً، وإن حدث خلاف ذلك، فالقول الفصل في هذا أن صاحبه يتصنع ذلك، أو يُمَثَّلُ إن صح التعبير، فذلك الشخص الجبان يكذب، ويلقي أنواع الافتراءات والفتن بين الناس، ليحقق غرضاً خسيساً في نفسه، لا يبلغه إلا بذاك الأسلوب القذر.. فانظر إلى تلك المصائب التي تحل، أو تحدث خلافاً جسيماً على مستوى أسرة أو عشيرة أو أكبر من ذلك، بحسب حجم تلك الكذبة أو الفرية التي بثها ذلك الشقي الجبان، وحدث مثل ذلك كثيراً في المجتمع، وأدى إلى فتنٍ عديدة، وعلى سبيل المثال.. مثالٌ حيٌّ من أرض الواقع: رجل فضولي يقوم بالدس والنميمة بين الناس، ويتصل من ذلك من فور انتشاره، ويعدُّ نفسه أنه يسمع تلك الوشاية لأول مرة.. مع أنه صاحبها وأول من أطلقها.. وقام بذلك مرات ومرات...!!

(٢٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٣/١.

(٢٣) صحيح البخاري ١٣٣/٢٠.

(٢٤) الكباير للذهبي ١٢٧-١٢٨، ومجلة البيان ٦/٦٧.

وربما يسأل سائل: لماذا يفعل ذلك الشقي الأفاك الأثيم هذه الفتن والدسائس ؟ فالجواب عنه: أنه من يحمل صفة الخسة والنذالة والهوان والخذلان، وهذه الصفات متأصلة في نفسه وشخصه، فالدلائل سالفة الذكر وتلك الصفات التي ربما لا تظهر للعيان بادیء ذي بدء، لأسباب عديدة، لأن صاحبها يبذل قصارى جهده لتغطية ما هو عالق في نفسه متشرب به دمه، متأصل في هيئته متمم في غريزته وقرينته.. لكنه مهما حرص على إخفائها، فسيؤول به المطاف إلى المحك الفاضح، الذي يدفعه لإسالة لعبه لأول وهلة لما هو من دوافع مكنونة في نفسه، ويظهر ذلك من فور حصوله على فتات دنيوي زائل.. ظن نفسه أنه ملك به الدنيا.. ولكن هيهات هيهات.. والكلام يطول في ذلك ولا يسع المقام له، ولا أريد أن أطيل في تفصيل ذلك.. بل أكتفي بذكر الآية الكريمة: [إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنفُتَحَّ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَآ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ] {الأعراف: ٤٠} "أي: لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة، إذ هي في السماء، أو لا يصعد لهم عمل صالح، ولا تنزل عليهم البركة، أو لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء، [وَلَآ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ] حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، أي: لا يدخلون الجنة أبداً..". (٢٥).

هنا وقفة بيانية رائعة الوصف والبيان، تخيل ثقب الإبرة واستحالة دخول البعير من داخله، أليس هذا كناية ربانية بديعة على استحالة دخول المكذبين الجنة، وتحريمها عليهم إلى أبد الآبدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجزرة العصر الاحتباس الحراري

بقلم: د. رياض عبد الله ليلا
من كتابه (العنف المقارن بين القرآن والأديان).

يُعدُّ الاحتباس الحراري أحد أكبر المجازر البشرية على الإطلاق، فجريمته تطل كل ما هو حي على الأرض لا فرق بين أسودهم وأبيضهم وبين حجرهم وشجرهم، فالكل هدف له، لكن الدول الفقيرة تتحمل منه النصيب الأكبر، فحالة الاحتباس تقضى على أراضيهم الخصبة التي كانوا يقاتلون منها ويجنون منها معيشتهم، فتحولت أراضيهم إلى صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا زرع، وبدأت مواشيتهم تنفق عطشاً وجوعاً، كيف لا... ومالكوها أشدَّ جوعاً وعطشاً من حيواناتهم.

ولم تقف الجريمة عند هذا الحد فقط، فالعواصف الشديدة التي لم تكن معروفة للعديد من الدول، أخذت تضرب سواحلها، ومدنها، وتحيلها إلى دمار كامل، وأيضاً الغابات التي تشتعل هنا وهناك بسبب ارتفاع الحرارة، فتحيل أشجارها إلى كتلة نارية هائلة، تعجز الجهود البشرية عن إطفائها، إلا بعد أن يهدأ ضرامها ويخف سعارها،

فتزيد نكسة فوق نكسة، أما ذوبان الثلوج المتراكمة فوق القطبين الشمالي والجنوبي، فهو بحد ذاته خطر قادم يهدد العديد من المدن بالغرق، بسبب ارتفاع منسوب المياه في البحار.

كل تلك الكوارث، تجري بسبب حالة انبعاث غاز الكربون، الذي تخلفه المصانع الصناعية الضخمة في الدول المتقدمة، والسيارات الملوثة للبيئة، دون أن تراعي الدول المصنعة حالة انبعاث غاز الكربون من عوادمها، وعلى الرغم من النداءات العديدة، التي يصدرها العلماء إلى الدول المصنعة بين الفينة والأخرى، محذرة من الخطر القادم، لتأخذ بحسبانها تقنية تفيد الطبيعة، أو تقلل من ضررها الناشئ، إلا أنها فضلت ربحها المادي على خسارة الأرض ومن عليها، فلم تلتفت أو تتأثر لمعاناة الدول المتضررة، ولم تتألم لأنين الجوعى والعطشى، كل هذا لا يعينها، طالما حصدت المليارات وخرزنتها في بنوكها.

أما قطع الأشجار، وتعرية الغابات التي تُعدُّ رئة الأرض ومصفاتها من السموم، فهي أيضاً تتعرض لجريمة التعرية المنظمة، فتجار المافيا المسعورون، يركضون نحو جني الأموال دون التفكير بجريمتهم التي يرتكبونها بحق أنفسهم أولاً، وحق الشعوب والدول ثانياً، وقد عرضت الفضائيات على شاشاتها مساحات شاسعة لتلك الغابات التي كانت تعجُّ بالحياة، والكل يعلم وظيفة تلك الرئة الربانية، فهي تستنشق غاز ثاني أكسيد الكربون وتطرح غاز الأوكسجين، ناهيك عن وظيفتها في اعتدال الطقس، ولن نتحدث عن الحالة الجمالية لها، فهذا شيء لا يحتاج إلى تعليق أو إظهار.

إن هذه الجريمة المنظمة بحق الطبيعة، والإنسان على حد سواء، مجزرة دولية شاملة لكل الشعوب، دون الحاجة إلى استعمال السلاح النووي أو البيولوجي أو الجرثومي؛ لأن ما أحدثوه من احتباس، يفوق كل تلك الأسلحة بمجموعها، فالقضاء على الأرض ومن عليها، حالة تعجز الأسلحة المدمرة عن تحقيقها؛ لأن الإنسان قد يجد له طريقاً يتقي فيه تلك الأسلحة؛ ولكن تأثيرات الاحتباس يصل إلى كل ذرة على الأرض، وتطول كل حي وجماد، تلك هي المعادلة الخطيرة، وقد أخبرنا الله عن مسببها فقال:

(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ نَا حِبُّ الْفَسَادِ)

[البقرة: ٢٠٥].

وعلم الله تعالى كائن بما سيجري، قبل وجود الإنسان على هذه الأرض، فعندما سأل ملائكته: **(وَإِذِ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** [البقرة: ٣٠].

أعلم الله تعالى عباده وأخبرهم أن الشيطان لهم عدو ونبههم على أفعاله معهم: **(وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا أَمْرُنَهُمْ فَلَيُبْتِغْنَ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا أَمْرُنَهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا)** [النساء: ١١٩].

هذا ما نراه اليوم، فمعود الله تعالى في أفعال عباده، أخذ يتحقق بشكل سريع، فهل وجدت يا مسلم يا عبد الله قانوناً وضعياً يتحدث عن الغيبيات ولو للحظة قادمة...؟ **(..... تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** [البقرة: ١١١].

وتُجمع الدراسات على أن ٩٠% من المناطق المنكوبة بالكوارث والحروب والفقر وانهايار المستوى الصحي في العالم هي مناطق إسلامية^(١).

لو أردنا أن نقدم وجهة نظر نبينا، عليه الصلاة والسلام، في حفاظه على البيئة، لوجدنا عظمة هذا الدين، وكيف جاء بانياً للنبين والطبيعة على حد سواء، مراعياً لمصالح البشر، والأرض، والنبات، والحيوان، فلا إسراف ولا تبذير، ولا تلوث، ولا تصحر، بل إصلاح ورفعة للإنسان والأرض معاً، واستمع إلى نبيك -صلى الله عليه وسلم- ماذا يقول:

دعا الله تعالى على لسان نبيه إلى الزرع والحرث، الذي يفيد الأرض، والإنسان، والحيوان، والبيئة، على حد سواء، روى أنس رضي الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»**^(٢).

وعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدُكُمْ فَسِيلَةً فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»**^(٣).

(١) - علي بن نايف الشحود، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩، ٤٧٥/٩.

(٢) - البخاري، الصحيح، ٣٨٥/٨؛ مسلم، الصحيح، ١١٨٩/٣.

(٣) - بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٣٨/١٨).

تصور هذا الوصف وهذه الصورة النبوية الرائعة: قيام الساعة والناس سُكاري وما هم بسكاري وعذاب الله الشديد يحيط بهم من كل جانب، والجبال تمرُّ فوقهم مرَّ السحاب والمرضعة تخلَّت عن رضيعها، ووضعت كل ذات حمل حملها، ورجل في هذا الهول المرعب، يحمل فسيلة زرع يغرستها، ويجتهد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يتركها تدبل وتجف، بل يغرستها حتى ينتفع بها المجتمع.

هل جاء نبيك صلى الله عليه وسلم مخرباً أم بانياً...؟

هل ترك ربك الأمور تسير على وفق مصالح الناس الشخصية، دون مراعاة، ما حولهم من نبات، وحيوان، وجماد، وإنسان، أليس عظمة الإسلام قلَّ نظيرها..؟ هل يوجد على هذه الأرض نظيرٌ لها..؟

قارن أخي القاريء بين ما قرأت وما يجري الآن...!!!

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَزْرَعْهَا وَعَجَزَ عَنْهَا فَلْيَمْنَحْهَا أَخَاهُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُؤَجِرْهَا إِيَّاهُ»^(٤).

أما ربُّ العزة والجلال فقال في كتابه المجيد: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) [الواقعة: ٦٣-٦٤].

ثم اسمع إلى قوله أيضاً: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [الزُّمَر: ٢١].

ألم يحض ربك العظيم على الزراعة، والعمل، وإحياء الأرض من بورها، ثم انظر إلى قوله مهديداً ومتوعداً: (لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) {الواقعة: ٦٥}. ألا تتفق معي اليوم أن الغرب جعل من الأرض دماراً، مخالفاً لقانون الله في خلقه وما أوجد لهم...؟.

ثم انظر إلى الله تعالى كيف شبَّه نبيك وأصحابه تشبيهاً رائعاً دل على قيمة الزرع ومكانته في الإسلام: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى

(٤) - مسلم، الصحيح، ١٤٣/٨.

عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: ٢٩].

ما رأيك بعظمة الإسلام..؟ لقد عني القرآن بتلك الصفات البانية للبيئة، والكون، والإنسان، وبكل شيء، فهل جاء إسلامك يا أخي مخرباً وإرهابياً وقاتلاً...؟ (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) [الكهف: ٥].

إن المحافظة على سلامة البيئة واجب شرعي على كل مسلم؛ لأنه مستخلف فيها من قبل ربه، وسوف يحاسب الإنسان على كل ما جناه في حق البيئة، التي خلقها الله وسخرها لخدمته، فالمحافظة عليها واستثمارها بما ينميها ويزيدها قوة هو من واجب شكر النعمة، وفي القرآن الكريم آيات عديدة تؤكد هذا الواجب الشرعي، يقول تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [البقرة: ٦٠].

أرأيت معادلة ربك في البيئة التي أوجدها لعباده..؟ ولم يقف عند هذا الحد بل جعل أحد أحكام تحرير العبيد زرع الأشجار، واستمع إلى هذا الحديث عن سلمان: «أَتَيْتُ أَهْلِي عَلَى أَنْ أَغْرِسَ لَهُمْ خَمْسَ مِائَةِ فَسِيلَةٍ فَإِذَا عَلِقَتْ فَأَنَا حُرٌّ قَالَ فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ أَغْرِسْ وَاشْتَرِطْ لَهُمْ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَغْرِسَ فَأَذِنِّي قَالَ فَأَذِنْتُهُ قَالَ فَجَاءَ فَجَعَلَ يَغْرِسُ بِيَدِهِ إِلَّا وَاحِدَةً غَرَسْتُهَا بِيَدِي فَعَلِقَنَ إِلَّا الْوَاحِدَةَ»^(٥).
أرني رئيس دولة أو حاكم يسعى إلى غرس زرع بيده ليرفع العبودية عن إنسان...؟ غير نبيك محمد صلى الله عليه وسلم..؟.

ثم انظر إلى تشبيهه للعبيد وللدنيا وبأي شيء شبه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ خَطِيْبًا فَكَانَ فِيمَا قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ»^(٦).

لقد أحالت الدول الصناعية الكبرى العالم إلى صحراء قاحلة، زارعة فيه التصحر والدمار، الذي إذا أتى على شيء جعله حطاماً، وأمات كل ما حوله، ثم انظر إلى نبيك

(٥) - ابن حنبل، المسند، ٤٨/٢٣٨.

(٦) - ابن ماجه، السنن، ٣/١٢؛ النسائي، السنن الكبرى، ٥/٤٠٠.

محمد صلى الله عليه وسلم، واستمع إلى هديه في التصحر، والأرض البور، ماذا يقول وبماذا يحكم؟

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى أَنَّ الْأَرْضَ أَرْضُ اللَّهِ وَالْعِبَادَ عِبَادُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْيَا مَوَاتًا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ»^(٧).

واستمع إلى هذا الحديث أيضاً: عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحْيَا مَيِّتًا مِنْ مَوَاتَانِ الْأَرْضِ فَلَهُ رَقَبَتُهَا وَعَادِي الْأَرْضِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ لَكُمْ مِنْ بَعْدِي. وَرَوَاهُ هِشَامُ بْنُ حَبِيرٍ عَنْ طَاوُسٍ فَقَالَ: ثُمَّ هِيَ لَكُمْ مِنِّي»^(٨).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحْيَى أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ^(٩) ظَالِمٍ حَقٌّ»^(١٠).

عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يحيي أرضاً فتشرب منها كبد حرى أو تصيب منه عافية إلا كتب الله له بها أجراً»^(١١).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَرَسَ غَرْسًا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ وَلَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ»^(١٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يغرس غرساً، إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»، وفي رواية لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا شيء، إلا كانت له صدقة، وفي رواية إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة.

في هذه الأحاديث فضل الغرس وفضل الزرع وأن أجر ذلك مستمر مادام الغراس والزرع وما تولد منهما إلى يوم القيامة^(١٣).

(٧) - البيهقي، السنن الكبرى، ٨/٦.

(٨) - البيهقي، السنن الكبرى، ١٢/٦.

(٩) - العرق: الظالم الغاصب الذي يأخذ ما ليس له، أي: الرجل الذي يغرس في أرض غيره.

(١٠) - الترمذي، السنن، ٢٤٧/٥.

(١١) - ابن عبد البر التمهيد، ١٢٣/٢٤.

(١٢) - ابن حنبل، المسند، ٤٢/٥٦.

(١٣) - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢١٣/١٠.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ قَدْرَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِ ذَلِكَ الْغَرْسِ»^(١٤).

ثم انظر إلى نبيك ماذا يقول في قطع الأشجار، ويذكر هنا شجرة السدر^(١٥)، وهذا ينطبق على بقية الأشجار التي تُقطع دون فائدة أو دراسة لما تسببه من دمار للبيئة وما حولها:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ السُّدْرَ يُصْبُونَ فِي النَّارِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ صَبًّا»^(١٦).

سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار^(١٧).
عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْرُجْ فَأَذْنُ فِي النَّاسِ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ رَسُولِهِ لَعَنَ اللَّهُ قَاطِعَ السُّدْرَةِ»^(١٨).

ثم انظر إلى الرفق بالحيوان وكيف ينظر نبيك إلى تلك الأرواح الضعيفة، التي يؤثر فيها اليوم التغير المناخي وبميتها عطشاً وجوعاً.
لقد حرص الإسلام على كل ذرة في البيئة، ولم يأخذها إلا بحقها، وما تعود عليه بالفائدة الشخصية، والاجتماعية، والحيوانية، والبيئية، وسمع إلى نبيك ورفقه بالحيوان الذي يعاني الآن الجوع والعطش بسبب تهديم الغرب لبيئته:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بئراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَأً خَفَهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ حَتَّى رَفَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(١٩).

(١٤) - ابن حنبل، المسند، ٥٠٣/٣٨.

(١٥) - السدر: شجر النبق وقيل هو السمرة.

(١٦) - البيهقي، السنن الكبرى، ١٥٥٣/٥.

(١٧) - أبو داود، شرح السنن، ٩٩/٨.

(١٨) - البيهقي، السنن الكبرى، ٢/٦.

(١٩) - مسلم، الصحيح، ٣٠٤/١١.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تَطْعَمَهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ »^(٢٠).

أما طعام الطيور ففيه البركة والسبق، فنبينا صلى الله عليه وسلم، سبق العالم بكل حضارته في الرفق بالحيوان وإطعامه فقد أورد المحدثون هذا الحديث:

عَنْ السَّائِبِ بْنِ سُوَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ زَرْعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الْعَوَافِي ^(٢١)، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِ أَجْرًا »^(٢٢).

من تقدير الله تعالى وأنا أكتب هذا البحث تحدثت فضائية الجزيرة بتاريخ (١٤/١٢/٢٠٠٩م) أن مجموعة هائلة من العصافير تقدر بالملايين تحط رحاها فوق الأشجار في إيطاليا، وأضافت أن الحكومة الإيطالية ضاقت بها ذرعاً، فقررت رش سموم لقتلها أو استعمال أسلحة لإبادتها، خشية تناولها ثمار محاصيلها المزروعة.

كما قامت الصين قبل عدة عقود باستعمال طريقة شيطانية، لأبعاد تلك الطيور الصغيرة عن مزارعها، فطلبت من سكانها الخروج إلى الحقول والشوارع، حاملين أدوات تُخرج قرقعة عالية، لتخيف العصافير الزائرة، مدعية أنها تأكل ما يعادل ١٥% من محصول الأراضي المزروعة، وبعد استجابة ملايين الفلاحين والأهالي لنداء حكومتهم، خرجوا وظلوا يقرعون إلى سدول الليل، فسقطت العصافير ميتة بعد أن أعيها التعب والظلمة، وعندما أئنع المحصول وأن قطافه، وجدوا نقصاً هائلاً في الإنتاج يصل إلى ٣٥% فصُعقوا لهذه النتيجة المرعبة، وبعد دراسة مستفيضة، تبين لهم أن العصافير، كانت تلتقط ديدان الأرض، مع شيء قليل من المحصول المزروع.

انظر أخي إلى تقديرات ربك، وإلى التوازن البيئي، فخلق كل شيء بقدر ودراسة، وأوجد في الطبيعة الموازن الكفء، ليحدث الاعتدال، دون إسراف أو إهدار أو تدمير، وخلق كل شيء لمهمة خصصها، وسخرها خدمة للإنسان وحياته، ليقوم بعبادة ربه، على أحسن وجه، وليتفكر بآياته الربانية، وليعلم أنه عبد كريم عليه، عزيز بدينه، رفيع بشرِّعه، فأين حقوق الحيوان التي يتحدثون عنها..؟ نحن نراهم ينفقون مئات المليارات

(٢٠) - البخاري، الصحيح، ١١/٤٧٢؛ مسلم، الصحيح، ٤/١٧٦٠.

(٢١) - فسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم العوافي عندما سأل أصحابه: (أتدرون ما العوافي؟ قالوا: لا، قال: الطير والسباع،

السيوطي، الدر المنثور، ٧/٤٨٩.

(٢٢) - الطبراني، المعجم الكبير، ٦/٢٧٢.

على طعام الكلاب في أوربا، ويتباكون على الخراف التي يذبحها المسلمون في عيد الأضحى، تقرباً إلى ربهم...

نراهم ينفقون أكثر من ثلاثة مليارات دولار، على الكلاب المدربة التي جاؤوا بها إلى العراق، ومن ثروة العراق النفطية، وشعب العراق يئن بجوعه وعطشه وفقره، وكذلك شعب فلسطين وغزة، الذي يعيش على فضلة موائد العالم ويعيش أهله بالعراء، فلا بيت يظلمهم ولا لقمة تشبعهم، فأين العدالة والرحمة يا رحماء الكلاب..؟

أين الرحمة يا من جعلتم من الأرض مقبرة لنفاياتكم النووية...؟
أين الرحمة يا من تحرقون الأرض ومن عليها بأسلحتكم البيولوجية والنووية والجرثومية...؟

أين الرحمة يا من قلبتم موازين الأرض بصناعاتكم، وأحلتموها إلى جرداء قاحلة.. فأتمم البشر والشجر والحيوان والحجر.. ولوثتم جو الأرض، بغازاتكم السامة، وقتلتم الناس بالسرطان والأمراض الفتاكة..؟ فأى حضارة تبنون..؟ وبأي دين تدينون..؟؟.

ودعنا نقارن ما تقدم من فعل أو قول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء في التوراة، مؤيداً لأفعالهم في القتل والتفتيل لكل ما هو حي على وجه البسيطة:
(هذا ما يقول الرب القدير: تذكرت ما فعل بنو عماليق ببني إسرائيل حين خرجوا من مصر، وكيف هاجموهم في الطريق فذهب الآن واضرب بني عماليق وأهلك جميع مالهم، ولا تعف عنهم بل اقتل الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والجمال والحمير)^(٢٣).

أرأيت هذا الاحتباس الإجرامي القديم...؟؟!!!
أتدري أخي القارئ أن كل من على وجه الأرض هو عماليق بالنسبة لليهود والغرب على حد سواء، (.... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الأعراف: ١٨٧]
انظر للتوراة ماذا تقول أيضاً: (أنتم أولاد الرب إلهكم، لأنكم شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب على جميع الأرض)^(٢٤).

(٢٣) - الكتاب المقدس، سفر صموئيل الأول، ٣/١٥.

(٢٤) - سفر التثنية، الإصحاح، ١٤.

ومن ثمَّ فإنَّ حروبهم التدميرية لم يحظرها دينهم الذي حرّفوه، بل أباحها ومجّدها، ولم يضع القيود عليها، فإذا حاربوا استباحوا أعداءهم، فقتلوا الرجال، واستعبدوا النساء والأطفال وأحرقوا البيوت، وسمع لكتابهم المقدس ماذا يقول في ذلك: (فَضْرَباً تَضْرِبُ سَكَانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السِّيفِ وَتَحْرُمُهَا، بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السِّيفِ، تَجْمَعُ كُلَّ أُمَّتِهَا إِلَى وَسْطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرَقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةُ، وَكُلُّ أُمَّتِهَا كَامِلَةٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ فَتَكُونُ تَلًّا إِلَى الْأَبَدِ لَا تَبْنَى بَعْدَ) (٢٥).

وجاء في الإصحاح العشرين من السفر نفسه: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح، وفّحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأمّا النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة غنيمة تغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك) (٢٦).

وتأمل قول الله تعالى: **(مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخِزْيِ الْفَاسِقِينَ)** [الحشر: ٥].

نزلت هذه الآية في بني النضير عندما حاصرهم رسول الله للجلاء، فأخذ بقطع نخيلهم وإحراق بعضها، لتخور قواهم ويخيفهم بحربه النفسية، فعندما رأوا ذلك منه قالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فما بال قطع النخيل...؟ (٢٧)، فتوقف عن ذلك فنزلت تلك الآية.

أرأيت وجه المقارنة بدينك وما جاء فيه من رحمة، وبين ما جاؤوا به، **(...هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)** [هود: ٢٤] ...؟

هل وقف الغرب وأمريكا والدول الصناعية عند هذا الحد...؟ أم تجاوزوا إلى أكثر من ذلك...؟

لا بل تجاوزوا إلى أكثر من ذلك بكثير، فاستنزاف الثروة المائية العذبة بغير خطط مدروسة وتلويثها بالمواد السامة والإسراف الخطير في استعمالها، ما هو إلا مجزرة تُضاف إلى مجازرهم بحق البشر والشجر والحيوان والبيئة جميعاً.

(٢٥) - سفر التثنية، الإصحاح، ١٣-١٦-١٧ .

(٢٦) - سفر التثنية، الإصحاح، ٢٠ .

(٢٧) - ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٨/٧ .

ففي فلسطين المحتلة على سبيل المثال يقوم الاحتلال الإسرائيلي بسرقة المياه من الآبار الفلسطينية، كما يقوم بسرقة ماء نهر الأردن (نهر الشريعة)، فضلاً عن بحيرة طبرية المحتلة، وذكرت الفضائيات، أن معدل استهلاك اليهودي الواحد من الماء يفوق نظيره الفلسطيني بخمس عشرة مرة، كما تعاني الأردن شحة مياه خانقة، ونهر الأردن على حدودها، لا تستطيع تحريك ساكن، بسبب سيطرة اليهود عليه.

كما أكدت مصادر البيئية تناقص مياهه إلى مستويات خطيرة، وفي جنوب أفريقيا، نجد المزارع التي يملكها البيض تعيش في جنات وعيون، في حين نجد أراضي السود تعاني العطش والتصحر، وفي زامبيا نجد المزارع التي يملكها البريطانيون تعيش بجبوحه مائية، ومزارع السود في حالة يرثى لها، وغيرها وغيرها الكثير.

اسمع لقول نبيك صلى الله عليه وسلم: **«الناس شركاء في ثلاثة: الكَلأ، والنَّارِ، وَالْمَاءِ»**^(٢٨)، فهل غالى رسول الله عندما شارك الناس بتلك الثروات، وأين الغرب الذي يستأثر كل شيء لأفراد محدودين، بسبب لون البشرة أو الجنس أو المظهر..؟.

هل توصل العالم إلى رحمة ربك جلَّ جلاله أو عدل نبيك صلى الله عليه وسلم..؟
أرني لهم إنسانية صادقة في هذا الزمن..؟

ألم تجد الكثيرين من الغربيين والأمريكيين في هذا العصر يعيشون بلا ماء؛ لأنهم لا يملكون ثمنه..؟ أين حضارة الأمم أمامك يا رسول الله..؟

وإذا التفتنا إلى ديننا وقول نبينا، ومكانة تلك الثروة الغالية، نجد عنده توصيات تدل على عظمة ديننا وحفاظه عليها، ولنستمع إلى نبي الرحمة ماذا يقول:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرْفُ..؟ فَقَالَ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ..؟ قَالَ: نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ»**^(٢٩).

وعن أبي الدرداء: **«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ بإتاء على نهر، فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في النهر وقال: يبلغه الله قوماً بنفعهم به»**^(٣٠).

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ وَلَهَانُ فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ»**^(٣١).

(٢٨) - الزيلعي، نصب الراية، ٤/ ١٤.

(٢٩) - ابن ماجه، السنن، ١/ ٣٥٦.

(٣٠) - ابن حبان، المحروحين، ٣/ ١٤٧؛ ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ٥١٢.

على الرغم من ضعف الأحاديث المتقدمة في شأن المياه، لكنها في النتيجة تتضمن معنى صحيحاً، ففي كتاب الله تعالى إشارة إلى ذلك بقوله: **[يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]** [الأعراف: ٣١].

فالإسراف في مجموعه محرم في الشريعة، فليس الماء وحده محل الحديث، إنما كل شيء يُعدُّ مظنة الإسراف يكون حراماً شرعاً.

نستطيع أن نستلهم مما تقدم، أن الإسلام جاء حريصاً على كل ما على الأرض، سواء بسواء، فالأرض وما حملت من جماد، وحيوان، ونبات، وماء، وإنسان، هي هدف له في العناية والرعاية، ولا يجوز التفريط بها بأي حال من الأحوال.

فشرع الله جعل لمن أحيها مكانة عظيمة في الآخرة، وسعادة كبيرة في الدنيا، فوضع قانونه الرباني ليسعد الناس به، وأراهم صورة الدمار التي ستلحق بهم، إن غفلوا عن شرعه ووصاياه، وللأسف نرى الغفلة تستحوذ على قلوبهم، والمال الفاني يتربع على شغاف قلوبهم، فضربوا بكل فضيلة، وداسوها بأقدامهم، دون أن يلتفتوا إلى النتائج المدمرة، التي سوف تصيب الجميع دون استثناء، وبدل أن يفكروا في حل ناجع لمصائبهم التي أحدثوها، راحوا يرسلون مركباتهم الفضائية ليستكشفوا الفضاء عليهم يجدون مكاناً يسكنون فيه أو محطة يؤون إليها عند الحاجة. تاركين الحل الذي أمامهم... وما عملهم هذا إلا قمة الغباء البشري.

لم يقتصر العنف على استعمال السلاح والقتل فحسب؛ بل تجاوزه إلى أبشع من ذلك بكثير، فالعنف بمسمياته المعروفة لا يتعدى حالات محدودة، ارتبطت بأسباب مقصودة، تزول مع انتهائها، أما الاحتباس الحراري، فهو جريمة كبرى وعنف جماعي، يطال كل البشر على حد سواء، وينعكس سلباً على المجتمعات كافة، وسينال الغرب نصيبه الأكبر منها بسبب الهجرة المتزايدة إليه، فحالة الفقر العام والجوع دفع الناس نحو الدول الغنية، وسيكون لتلك الهجرات الكبيرة، انعكاساتها الخطيرة على أوربا

(٣١) - ابن ماجه، السنن، ١٢/٢؛ حقه الألباني في المشكاة، ص ٤١٩، وقال ضعيف جداً.

مستقبلاً، ويمكن اعتبارها قنبلة موقوتة لا يعلم أحد متى ستنفجر، فمعاناتهم في بلدانهم، انتقلت معهم إلى الأوطان الجديدة، فحالة البؤس والحقد والانتقام سيكون أثرها بعد حين، عندها سيقع الغرب في متاهات مظلمة، وتبدأ حملات مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، فاعتقاد المهاجرين بقضية أوروبا ورأفتها بالإنسان، وهَمٌّ كبير، لا يُكتشف إلا من خلال الاتصال المباشر معهم، فإعلام الغرب أشاع البهجة والسرور في قلوب المستمعين له، عن رفاهية الإنسان والرفق بالحيوان، فأصيب الناس بشغف المحب لتلك المجتمعات، بعد أن فقدوا في بلدانهم عناصر: الأمن، والأمان، والعيش بحدوده الدنيا، وعندما يستيقظون من سكرتهم، تبدأ معاناة الغرب مع المشكلات الوافدة، وقد رأى العالم ما جرى في جنوب فرنسا العام الماضي، من دمار وعنف يتجدد بين الفينة والأخرى، فمهاجرو دول المغرب العربي ينظرون إلى فرنسا نظرة حقد لما أحدثته بهم أبنان احتلالها لهم، وسيستيقظ شبح الانتقام مع أولى حالات التمييز العنصري بينهم وبين مواطني البلد الأصليين، وستتكرر تلك الحالات على نطاق واسع في أرجاء العالم؛ لأن لكل مهاجر قصة وقصاصاً مع تلك الدول، فإن لم تسارع أوروبا والعالم إلى إعادة النبض إلى الدول الفقيرة، ويشيعوا فيها الأمان والأمن المفقود، ويصلحوا ما أفسدوه، سيكون موعدهم مع المشؤوم القادم أكبر مما يتصورون.

إن ما أحدثوه بحق البشر في هذه المجزرة البيئية الضخمة، يدعو الأمم للتحرك من أجل تغيير واقعهم الجديد تجاه الدول المسببة... عليهم أن يقفوا متحدين بوجهها ويحاربوا سعيها المدمر، وقطع كل صلة ترفع من شأنها، سواء الاقتصادية منها أم الثقافية، وتضرب على يديها. فحال الدمار لا يطال إلا شعوباً بعينها، لا حول لها ولا قوة... عليهم أن يعملوا بكل ما يستطيعون لوقف تلك المجزرة التي ستنتهي بالأمم إلى نفق مظلم، لن تصحو منه إلا على حتفها ودمارها.

وصلتنا جملة من الأسئلة المتعلقة بمسائل الرضاع رأينا أفراد هذه الحلقة لها، وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من إثبات بديهية، ألا هي الدليل على ثبوت التحريم بالرضاع، قال تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ

اللاتي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ] [النساء: ٢٣].

بيده السائل والفقير مسائل في الرضاع

د/ عامر حسين أبو سلامة

وجاء في الحديث الصحيح: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، وبناء عليه إذا حصل الرضاع بالوصف الشرعي فتحرم:

١. المرأة المرضعة، لأنها بإرضاعها تكون أمًّا للرضيع.
 ٢. أم المرضعة، لأنها تكون جدة له.
 ٣. أم زوج المرضعة -صاحب اللبن- لأنها جدة له.
 ٤. أخت الأم، لأنها خالته من الرضاع.
 ٥. أخت زوجها، لأنها عمته من الرضاع.
 ٦. بناتها وبنات بنيتها، لأنهن أخواته وبنات أخواته من الرضاعة... وهكذا.
- فشأن الرضاع شأن خطير، وفي غاية الأهمية، لأن أمره مرتبط بالتمييز بين الحلال والحرام، وخاصة في شأن الفروج، الذي يكون الاحتياط فيه أكبر وأعظم.

س ١: هل إذا علم الإنسان حصول الرضاع، عليه أن يمتنع عن الاقتراب من الزواج، من المرضعة وما ذكرتم قبل قليل؟

ج ١: نعم - إذا تحققت الشروط - وإلا فإنه يعتبر ناكحاً لمحرّم من محارمه، لأننا كما ذكرنا الحديث الصحيح: «يحرّم من الرضاع ما يحرم من النسب»، فالأخت من الرضاع كالأخت من النسب، سواء بسواء، وكذلك الخالة والعمة... وهكذا.

س ٢: ما مقدار الرضاع الذي يثبت فيه التحريم؟

ج ٢: هذه مسألة فيها خلاف بين العلماء، منهم من قال: يحرّم قليل الرضاع وكثيره، ومنهم من قال: إن التحريم يثبت بثلاث رضعات فأكثر، ومنهم من قال: إنّ التحريم: بأقل من خمس رضعات متفرقات، وهذا الأخير هو مذهب الشافعي، وأحمد في رواية، والليث بن سعد، وابن حزم، وأكثر أهل البيت، وقال به من السلف عبد الله بن مسعود، وعائشة في إحدى الروايات، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وعطاء وطاووس، وهو اختيار الإمام الشوكاني كما في كتابه الدراري القائل (٢ / ٥٠): "إنما يثبت حكمه بخمس رضعات".... وهذا المذهب هو الذي يظهر، وإن كان الأحوط الترك في جميع الصور، ودليل هذا المذهب، الحديث الذي أخرجه مسلم ومالك والدارمي وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في السنن الكبرى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن، عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن».

س ٣: أنا رجل متزوج امرأة، وعندي منها خمسة أولاد، وأحبها حباً جماً، ولم أكن أدري أنها أختي من الرضاع، فما الحكم؟ وقد تأكدت مائة بالمائة أنها أختي من الرضاع؟

ج ٣: عليك مفارقتها مباشرة، والعقد يعتبر منفسخاً بينكما بصورة تلقائية، أخرج البخاري من حديث عقبة بن الحارث: «أنه تزوج أم يحيى بنت أبي إهاب، فجاءت أمه سوداء فقالت: قد أرضعتكما، قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عني، قال: فتحت فذكر ذلك له فقال: "وكيف وقد قيل أنها أرضعتكما، فنهاه، وفي لفظ: (دعها عنك)».

فالواجب على من علم أن بينه وبين امرأة رَضاعاً، أن لا يتقدم لخطبتها، وإذا خطبها أو عقد عليها، فعليه أن يفارقها، وإذا دخل بها فهو من باب أولى.

س ٤: هل العبرة في اللبن، أم لا بد أن يكون من الثدي؟

ج ٤: العبرة في وصول لبن المرأة إلى جوف الصغير، وليس شرطاً أن يمص اللبن من ثدي المرأة، أي: لو أخرجت المرأة لبنها في إناء، ثم شربه الصغير، يكون رضاعاً، لأنه باللبن يكون إنبات اللحم، وإنشاز العظم.

س ٥: ما السن التي يثبت بها التحريم؟

ج ٥: ذهب جمهور العلماء إلى أن السن التي تثبت بها التحريم، ما كان في الحولين، قال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) [البقرة: ٢٣٣].

س ٦: هل إذا أرضعت المرأة امرأً يصير زوجها أبا للرضيع، وأخوه عمّاً له، وأخته عمته، وهكذا، أم لا؟

ج ٦: ذهب الجمهور الأعظم من العلماء، ومنهم الأئمة الأربعة، إلى كون زوج المرضعة (صاحب اللبن) أباً للرضيع، وهكذا، وهذه المسألة تسمى (لبن الفحل)، جاء في الحديث الصحيح، من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال: "أئذني لأفلق أخي أبي القعيس، فإنه عمك، وكانت امرأته أرضعت عائشة رضي الله تعالى عنها.

س ٧: بم يثبت الرضاع؟

ج ٧: اختلف أهل العلم في هذه المسألة إلى عدة أقوال:

١. مذهب الحنفية ومن وافقهم، الذين قالوا: لا يثبت الرضاع إلا بشهادة

رجلين، أو رجل وامرأتين، لقوله تعالى: **(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ**

فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ] [البقرة:

.[٢٨٢]

٢. قول مالك ومن وافقه، وينص على قبول شهادة امرأتين، شريطة أن يكون قولهما في المسألة معروفاً من قبل.

٣. قول الشافعي ومن وافقه من العلماء، الذين ذهبوا إلى ما ذهب إليه الحنفية، إلا أنهم أضافوا: وشهادة أربع نسوة، أما الحنفية فلا يقبلون شهادة النساء وحدهن.

٤. بشهادة امرأة واحدة، وهو قول طاووس، وابن أبي ذئب، ورواية عن أحمد، والأوزاعي، وقول لمالك، واختاره الشوكاني في الدراري، ودليلهم حديث عقبة بن الحارث، الذي في البخاري، وقد مرّ ذكره في السؤال الثالث.

تعريف بكتاب

صفحات منيرة

من حياة الشيخ سعيد العبد الله

عرف بالكتاب

الدكتور: عطية الوهبي

صدرت الطبعة الأولى من هذا السفر القيم عن دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، عام ١٤٢٨هـ، وعدد صفحاته (٣٢٤) صفحة .

تناول المؤلف في هذا الكتاب سيرة إمام عظيم من كبار أئمة العصر، وهو الشيخ السعيد الإمام

العلم الداعية المربي المجاهد أبو عبدالله سعيد عبدالله محمد العبدالله، الحموي، صاحب المفاخر الزاهرة والمكارم الظاهرة، شيخ القراءات في حماة والديار الشامية، والحجازية، البصير بوجوهها وطرقها ورواتها وأسانيدھا، من آتاه الله تعالى علماً جماً في الفقه والفرائض والتفسير والأصول والنحو واللغة والأدب، مع ورع يزينه، وسير على خطى السلف الصالح، واستقامة على سنن الهدى ومنهج

صَفَحَاتٌ مَنِيرَةٌ

من حياة الشيخ

سعيد العبدالله رحمه الله

تأليف

الدكتور محمد حاتم الطُّبُّشِي

مراجعة الشيخ /

محمد عبد الحكيم سعيد العبدالله

إخراج وتنسيق

أستاذ / عبد الباري بن سعيد العبدالله

قَدِّمَ لَه

سماحة الشيخ العلامة

محمد بن عبدالله السبَّيْئِل (إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء)

سماحة الشيخ العلامة المحقق

مصطفى أحمد عبد الرحمن العسلي المقرئ من علماء المغرب الأجل

الناشر، دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع

مكة المكرمة - ج ٥٠٤١٢٤٧، المدينة المنورة، ٤٨٤٦٣٣٢

التقوى، ودعوة إلى الله تعالى على هدى ونور وبصيرة، وصفاء سريرة، وحسن سيرة، وإخلاص نية وصدق طويّة .

وقدم للكتاب سماحة الشيوخ: محمد بن عبد الله السيّيل إمام المسجد الحرام وخطيبه وعضو هيئة كبار العلماء، ومصطفى أحمد عبدالرحمن الحسني المغربي من علماء المغرب الأجلاء، ومحمد علي مشعل من علماء سوريا النبلاء، ومصطفى محمد الصيرفي من الدعاة السوريين المربين الفضلاء .

وقد ذكر المؤلف بين يدي كلامه على شخصية هذا الطود الشامخ والعلم الباذح منزلة العلماء في الإسلام، وفضلهم في العاجلة والآجلة، وواجب الأمة تجاههم . وتكلم بعد ذلك على اسم الشيخ ونسبه ومولده، وبيّن أنه من قبيلة بني خالد، وأن نسبه موصل بسيف الله المسلول الصحابي الجليل خالد ابن الوليد رضي الله عنه . وذكر المؤلف أن الشيخ ولد في قرية (الجنان) القريبة من مدينة حماة عام ١٣٤١هـ = ١٩٢٣م، ونشأ في كنف أبوين كريمين، وفقد بصره في عامه السادس، وحفظ القرآن العظيم قبل بلوغه السنة الثانية عشرة من عمره، والتحق بمدرسة دار العلوم الشرعية في مدينة حماة عام ١٩٣٤م، وانتقل بعد تخرجه فيها إلى دار الحفظ، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع على الشيخ العلامة نوري أسعد الشحنة في مدينة حماة، وأخذ القراءات الثلاث المتممة للعشر من طريق الدرّة، وقرأ القراءات العشر من طريق الطيبة على الإمام الشهير عبدالعزيز عيون السود في مدينة حمص، ولما عاد إلى حماة قرأ عليه شيخه نوري الشحنة القراءات الثلاث المتممة للعشر عن طريق الدرّة . وقد ذكر المؤلف نصّ الإجازة التي أعطاها الشيخ الشحنة لتلميذه الشيخ سعيد العبدالله، والصحابة الأجلاء الميامين - رضوان الله عليهم أجمعين - الذين ينتهي إليهم سند الشيخ كما وردت أسماءهم في الإجازة . وذكر المؤلف أيضاً رسالة موسومة بـ (الطلع النّضيد من سلسلة أسانيد شيخ أمّ القرى سعيد في قراءات القرآن المجيد)، جمعها وحققها السيد أحمد بن عبدالرحيم، مدرس القراءات وعلوم القرآن في ثانوية تحفيظ (بيشه)، وقد حقق فيها مؤلفها سند الشيخ سعيد العبدالله، وترجم رجاله، وهي رسالة قيمة في بابها . وأورد المؤلف أجوبة العلامة الشيخ سعيد العبدالله عن أسئلة

تقدم بها تلميذه الشيخ العالم المقرئ فائز عبدالقادر شيخ الزور تتعلق بالإجازة وما يتصل بها، وبيّن وجه الحقّ فيها .

وتحدث المؤلف بعد ذلك عن شيوخ الشيخ سعيد عبدالله، الذين قرأ عليهم، وتفقه بهم، وأخذ عنهم، وهم الشيوخ الأفاضل الأماجد: عارف النوشي، ونوري أسعد الشحنة، وعبدالعزیز عيون السود، وعبدالستار سلامة، وتوفيق الشيرازي الصبّاغ، وزكي الدندشي، ومحمد الحامد، وعارف قوشجي، ومحمود العثمان، وسعيد زهور، ومصطفى علوش، وسعيد الجابي، وعلي العثمان، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .

وتكلم المؤلف على محفوظات الشيخ الكثيرة، وأعظمها شأنًا القرآن العظيم بالقراءات العشر، ومنظومة السخاوي في متشابه القرآن، والرائية في علم الرسم للإمام الشاطبي، والجزرية والتحفة في التجويد، وناظمة الزهر في علم الفواصل، وألفية السيوطي، والمعلقات السبع، كما حفظ ألوفاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضبط والإتقان وتعدد الروايات، وألفية ابن مالك في النحو، وغير ذلك كثير .

وذكر المؤلف أن الشيخ تعين في عام ١٩٥٠م مدرساً في مدرسة دار العلوم الشرعية بحماة، فأصبح أساتذة أمس الذين درّسوه زملاء اليوم .

وبعد وفاة الشيخ نوري الشحنة في حدود عام ١٩٥٠م، تبوأ الشيخ سعيد العبد الله منزلة شيخه، وأصبح شيخ القراء والقراءات في حماة غير منازع ولا مدافع، وشرع يُقرئ في جامع (الدلوك) حتى نهاية عام ١٩٨٠م. وفي عام ١٩٨١م هاجر الشيخ إلى مكة المكرمة، وتعاقدت معه جامعة أمّ القرى، وبقي فيها أستاذاً للقراءات القرآنية حتى أعفي من منصبه عام ١٤١٨هـ . وقد أجاز مئات الطلاب الذين وفدوا عليه من أرجاء المعمورة .

وعرض المؤلف بعض آراء الشيخ الفقهية ونموذجاً من محاضراته القيمة، وفيها مسائل تتعلق بالحجاب والزكاة وغير ذلك، كما تحدّث عن منهجه في العلم والعبادة، وعبادته، ومجالسه، وحياته الاجتماعية، وتواضعه، وجوده وسخائه، وسعة

صدره، وحلمه، وحسن سريرته، واهتمامه بإخوانه من أهل الإسلام، وحرصه عليهم، وشغفه بهم، وذكر قصصاً طريفة ومواقف منيفة تدل على ذلك .
وذكر المؤلف بعد ذلك قطوفاً شريفة من حياة الشيخ العلمية بقلم ولده النجيب عبد الباري بن الشيخ سعيد العبدالله تحدّث فيها عن صلة والده بالحديث النبوي الشريف وحفظه لكثير منه، وامتلاكه مكتبة واسعة حفلت بأُمّات المصادر في العلوم كافة، ووضعها فهرساً بديعاً لصحيح البخاري، واهتمامه بتفسير القرآن العظيم وتدريسه تفسير النسفي كاملاً في المدرسة الشرعية بحماة، وجمعه أُمّات كتب التفسير في مكتبته العامرة، وحفاوته بعلم القراءات القرآنية الذي برع فيه ومهر، وذاع صيته واشتهر، وذكر عدداً من المنظومات التي ألفها الشيخ وتتعلق بعلم القراءات، وذكر أيضاً إسهامه في الندوات العلمية في جامعة أم القرى، وإسهامه في لجنة طباعة المصحف الشريف التي كان الشيخ عضواً فيها، ومؤلفاته، ونماذج من منظوماته، وسنة وفاته عام ١٤٢٥هـ، بعد أن جاوز الثمانين .

وذكر المؤلف بعد ذلك كلمات وقصائد كتبت بأقلام تلامذة الشيخ ومحبيه وعارفيه وفاءً له، واعترافاً بفضله، ورتّب أسماء مؤلفها على وفق حروف الهجاء، تقدّمها كلمات أبناء الشيخ الفضلاء: عبدالله، وعبدالحكيم، وعبدالباري . وهؤلاء السادة الأجلاء، والأساتذة الشيوخ النبهاء الذين ذكر المؤلف كلماتهم وقصائدهم منسوقة أسماؤهم على حروف الهجاء هم: أحمد أنس كرزون، وحسني الشيخ عثمان، وحسين خالد عشيش، وخالد سعود الحلبي، وخالد طاهر الصيديفي المغربي، وخالد عبد القادر دسوقي، ورضوان بن علي العبدالله، ورياض حسن الخوّام، ورسالن محمود المصري، وعبدالرحمن محمد الفيافي، ومحمد ضياء الصابوني، وعبدالله حامد السليمان، وعبدالمجيد منير الشققي، وعبدالمالك سلطان، وعدا ب محمود الحمش، وعبدالودود حنيف مقبول، وعبدالعزیز علي الحربي، وعدنان قيطاز، وعلي عبدالله إبراهيم الأنصاري، ومحمد موفق لطفي، ومنير محمد الغضبان، ومحمد نبهان المصري، وفؤاد جابر بن عبدالسلام، وفائز عبدالقادر شيخ الزور، ومحمود الشيخ صبح، ومحمد أحمد المغربي، والسيدة

الفاضلة ندى عدنان السراقبي، وهاني عبدالشكور، ويحيى الغوثاني، ومحمد عبدالرحمن بن عبدالعزيز عيون السود، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، ففيهم الشيوخ الأئمة القراء المشهورون، والأساتذة الجامعيون الكبار، والشعراء المبدعون، والباحثون الكتاب المتخصصون، وقد ذكروا في كلماتهم وأشعارهم مآثر الشيخ الجليلة ومناقبه النبيلة، وما زانه من كريم الخصال، وجميل الفعال، وما حباه الله الكريم المتعال من علوم شريفة، وأخلاق منيفة، وسيرة طاهرة تعبق بالفضائل، وشمائل ظاهرة لا تأفل، وذكروا ذكرياتهم مع الشيخ ومواقف الشيخ معهم، وبينوا مكانته العلمية السامقة في علم القراءات خاصة، وعلوم الشريعة عامة، وجهوده العظيمة المباركة الميمونة في خدمة التنزيل الحكيم، واهتمامه بقضايا إخوانه المسلمين كافة، وتقديم المعونة لهم .

وذكر المؤلف بعد ذلك أسماء بعض من قرؤوا على الشيخ رحمه الله تعالى، وأجازهم بالقراءة والإقراء، فذكر أسماء المجازين بالقراءات العشر، وبالقراءات السبع، وما دون السبع، وأسماء بعض المجازات . وختم الكتاب بذكر فهراس الموضوعات.

وفي الختام أسأل الله تعالى الملك العلام بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يسبغ عليه النعم والآلاء، وهو من تلامذة الشيخ الخالص النجباء، فقد بذل جهداً كبيراً في التتبع والاستقصاء، وأطلع الأجيال على سيرة إمام علم من أفاضال الرجال، قضى حياته كلها في خدمة القرآن وأهله، ومن حقه على الأمة أن تتعرف إلى سيرته العطرة، ليكون نبزاً لأبنائها يحذون حذوه، ويتقيلون سبيله، ويسيروا على خطاه في حفظ كتاب الله تعالى، والعمل به، والدعوة إليه حتى تستأنف أمتنا الإسلامية مسيرتها من جديد في طريق العز والمجد والسؤدد، وقيادة البشرية إلى خيري الدنيا والآخرة:

بني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المنح الإلهية على البشرية

بقلم

د. حمزة أبو الفتح حسين قاسم محمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة مهداة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واستنّ بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ مَنْحَ اللَّهِ سبحانه وتعالى للبشرية كثيرة لا تُحصى، ولا يمكن لزاعم أن يزعم مهما بلغت مرتبته ومكانته من العلم والمعرفة بأنه قد امتلك القدرة على إحصاء هذه المنح، إلا أنه وجد من العلماء من قد فتح الله عليه ومَنَّ عليه بشيء من العلم بالتوصل إلى معرفة بعض المنح الإلهية لهذه البشرية. وإني لأرجو من الله عز وجل أن أوفق لبيان خمس من أهم المنح الإلهية على هذه البشرية، هي: **منحة الفطرة**، **ومنحة العقل المتدبر في ملكوت الله سبحانه وتعالى**، **ومنحة إرسال الرسل**، **ومنحة إنزال الكتب**، **ومنحة تأييد الرسل بالمعجزات**، وذلك لما يترتب عليها من إقامة حجة الله على عباده، وبيان البراهين الدالة على عظمة الخالق |.

المنحة الأولى – منحة الفطرة :

إنَّ من أبرز مظاهر تكريم بني آدم من بعده أنهم ولدوا على فطرة نقية تقيّة فاضلة، قال تعالى : **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)** [الإسراء: ٧٠]. وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : **«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي**

هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً... الحديث». أي: خلقتهم وهم ميالون بطبيعتهم إلى الإيمان، ميالون إلى التصديق بأن الله خلقهم على فطرة تؤمن بوجود خالق ومخلوق، صانع ومصنوع، إله يُدبر ومخلوق مُدبّر، وأن لكل مخلوق خالقاً، هو : الله | .

وفي حديث أبي هريرة t الثابت في الصحيحين، أن النبي r قال : «ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودّانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه، كما تتجّ البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء».

يقول أبو هريرة: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) [الروم - الآية: ٣٠].

فالفطرة لغة: الحالة من الفطر، وهو الابتداء والاختراع، يقال : فطره يَفْطُرُهُ : أي خلقه.

وفي الاصطلاح هي: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به. قال أبو الهيثم: الفطرة : الخلقة التي يُخْلَقُ عليها المولود في بطن أمه، ومنه قوله تعالى في سورة الزخرف : (الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) [الزخرف: ٢٧] أي: خلقتني .

فالفطرة إذاً هي أصل التكوين، وهذا هو الحق الذي يعتقده المسلمون، وذلك أن الله خلق الإنسان نقيًا نقيًا طاهرًا، وإذا ما طرأ عليه طارئ من انحراف فإنما هو بتأثير مؤثرات خارجية، فإذا كان سير الإنسان على الإيمان فسيره على الفطرة التي فطره الله عليها، وإذا سار على غير ذلك كان سيره على خلاف الفطرة التي فطره الله عليها.

ولذلك نجد أن المؤمن يعيش في سعادة وأنس وطمأنينة، لأنه تمكن من الموازنة بين مطالب روحه، وحاجات جسده، وبين أصل خلقته، ومنهجه في السلوك والتشريع والحياة، ومثل هذا التلاقي والتواءم والانسجام لا يوجد إلا في ظلال الإسلام .

وبهذه الموازنة كانت حياة المسلم على النقيض من الحياة التي يعيشها غير المسلم من انفصام في الشخصية، وعدم تواءم بين الروح والجسد، وعدم توازن بين فطرة الله والمؤثرات الخارجية عليها .

وهذه أول منحة منحنا الله إياها في الدلالة عليه سبحانه وتعالى.

المنحة الثانية – هي منحة العقل المتدبر في ملكوت الله:

وهي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وميزه بها عن سائر المخلوقات في هذا الكون، فبواسطته يتمكن المرء من التأمل والتدبر في نفسه وفي مخلوقات الله كافة، والتعرف إلى ما في الكون من آيات ناطقة وبراهين ساطعة دالة على وحدانية الله وعظيم قدرته. وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر الآيات التي تدعو الإنسان إلى إعمال العقل في الآيات الكونية التي تحيط به.

قال تعالى : **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** [البقرة: ١٦٤].

وقال تعالى : **(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ {٢٠} وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ {٢١})** [الذاريات: ٢٠-٢١].

وقد مدح الله عزَّ وجلَّ المؤمنين الذين أعملوا عقولهم في التدبر في ملكوت الله عزَّ وجلَّ. قال تعالى: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ {١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {١٩١})** [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فالأصل في العقل الذي أعطانا الله إياه، أن يكون متدبراً في ملكوت الله الرحب، من سماوات وأرضين، تدبراً تجعل العاقل يدرك من خلال تأمله وتفكيره أن وراء هذه الدقة في الإحكام حكيمًا، ووراء الدقة في الرحمة رحيمًا، وإذا سرح عقله متأملًا في النتائج التي يراها، وقد تجلت فيها مظاهر الحكمة والرحمة والعلم وعظيم التدبير، علم اليقين أن مدبر ملكوت السموات والأرض حيُّ قيومٌ جليل عظيم، وبذلك يتوصل العاقل إلى المقدمة من خلال النتيجة التي يشاهدها.

وقد يسأل الإنسان الذي تاهت به السبل عن المنهج الحق في استعمال العقل للدلالة على الخالق عن الأسباب التي أدت به إلى الابتعاد عن المنهج القويم، فنقول له : إن المنهج السوي، والمنهل الروي، والطريق الأسلم، والأعلم والأحكم، هو منهج القرآن الكريم، الذي أجمل الله فيه هذه القضية الكبرى بقوله سبحانه وتعالى: **(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)** [الطور: ٣٥] ، ثم تحداهم سبحانه وتعالى فقال: **(أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوقِنُونَ)** [الطور: ٣٦].

وملخص هذه المسألة التي أخبرنا بها ربنا | أوجزه في ثلاث قواعد :
الأولى : أن لكل فعل فاعلاً، فما من فعل في الوجود المنظور في عالم الشهادة إلا
وله فاعل .

الثانية : أن الفعل مرآة لقدرة الفاعل ولبعض صفاته، فهو يقرأ بعقله، وينظر بعين
البصيرة. والتدبر كثيراً من صفات الفاعل من خلال الفعل. فمثلاً: الجنين الذي تكون
في رحم أمه من أين له طعامه وشرابه وتنفسه؟ ثم هو في بطن أمه عاش يسبح في ماء
المشيمة وراء ظلمات ثلاث : ظلمة المشيمة والرحم وبطن أمه ، فلما خرج منها وانقطع
عنه رزقه بقطع الحبل السري المتصل بأمه وجدنا له رزقاً جديداً في نهري جاريتين من
ثدي أمه في الشتاء دافئاً وفي الصيف بارداً، ولما خرج وجدنا له لساناً يصرخ به معلناً
حاجته إلى الغذاء، وعينين يرى بهما، وقدمين مهيائين للسير عليهما، ورأينا في وجهه
أربعة أنهار: دمع في العين، ولعاب في الفم، ومسمع في الإذن، ومخاط في الأنف، وكل
واحدة من هذه النعم في موقعها الذي تتجلى معه صفة الحكمة البالغة .

أفلا ترى هذا بعين البصيرة، وتقرأ صفات من أوجده؟ فإن من فعل ذلك وتدبر في
هذه الحقيقة، فإنه سيقول وبكل ثقة: إن الذي أوجده رحيم، لأن آثار هذه الرحمة حفته
من البداية إلى النهاية. ويستطيع أن يقول: إن الذي أوجده يعلم ما كان وما هو كائن وما
سيكون، إذ هياً له من وسائل السمع والبصر والكلام والحركة ما يستطيع به أن يمارس
حياته في كل مرحلة من مراحل عمره .

وهكذا تستمر قراءة هذه الحقيقة لكي تستخرج صفات الإحاطة والقدرة والقيومية ،
وعلم الغيب والشهادة، والملك والهيمنة، والخلق وحسن التكوين، فيعلم علم اليقين أن من
أوجده وخلقه هو وحده لا شريك له من يتصف بهذه الصفات العظيمة، صفات الرحمة،
والعلم بما كان وما هو كائن وما سيكون، والقدرة على الإيجاد من العدم، وعلم الغيب
والشهادة، وحسن التكوين والهيمنة على هذا الوجود من الذرة إلى المجرة : إنه الله الذي
لا إله إلا هو .

فالعاقل من يقول بلسانه، ويعتقد بقلبه وجنانه، أن ما سوى الله زيف وباطل،
ومغالطة للعقل والحق، لأن الصدفة — التي هي مرجع من تنكر الله وجده — تخذل
صاحبها عندما تتجلى مظاهر الحكمة في الخلق. والصدفة لا حكمة فيها ولا انضباط،
وهذا الكون البديع في خلقه العظيم في تكوينه بهذه الدقة المتناهية والنظام المحكم هو
الناطق القوي بتهافت الصدفة وسقوط دعوها.

أما أولئك الذين إذا سألتهم من أوجد هذا الوجود إنساناً وكوناً وحياة وأحياء؟ تواروا وراء عبارة (الطبيعة). وإذا سألتهم: أليست الطبيعة فعيلة بمعنى مفعولة - أي: أنها مخلوقة - وكل مخلوق يحتاج إلى خالق؟ ولكل فعل فاعل؟ ثم أليست هذه (الطبيعة) كانت قبل وجودها عدماً، والعدم لا يوجد نفسه؟ والعدم نفسه قبل الوجود كان عدماً؟ إذاً هو غير قادر على أن يوجد هذا الوجود؟

وعليه فلم يبق أمام الباحث عن الحق، والسائل عن الحقيقة ببرهانها، وعظيم حاجتها، وجللاء دليلها، إلا أن يعلم علم اليقين الذي لا يخالطه شك، ولا تزعزع ريبه، أن يعتقد وبكل ثقة أن الخالق الرازق المدبر لملكوت السموات والأرض هو الله ولا شيء غير الله. وأنه وحده المحبوب المعبود المطاع (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ٥٤].

هذه هي منحة العقل المتدبر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، غير أن الفطرة والعقل لا يكفيان في إقامة الحجة، وإنما يؤهلان لقبول البلاغ وإدراك المطلوب منه.

المنحة الثالثة - منحة إرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - :

فمنذ أن خلق الله البشرية على ظهر هذه الأرض والرسالات لم تنقطع في أي عصر من العصور، أو في أي وقت من الأوقات، وكان أول نبي على وجه الأرض آدم عليه السلام، وأول رسول نوح عليه السلام. وتوالى بعث الرسل والأنبياء، بحيث لم تمض أمة بدون رسالة إلى أن ختمهم الله بخاتمهم وسيدهم وإمامهم محمد بن عبد الله ﷺ. ولهذا كان إرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم منحة من الله سبحانه وتعالى أقام بها الحجة على الخلق. وتأكيداً منه سبحانه على عدله ونفي الظلم عنه، حيث قال في محكم تنزيله: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء: ١٥]. وذلك بإقامة الحجة عليهم من خلال الرسل وإنزال الكتب.

المنحة الرابعة - منحة إنزال الكتب :

حيث إن كل نبي أرسله الله ﷻ أعطاه شيئين مهمين: الأول الكتاب، والثاني المعجزة الدالة على صدقه. وهذه الكتب تضمنت الشرائع والآداب والأحكام والنظم، وكيفية تسيير الحياة، وكيف يجب أن يسير الناس على هدى الله، لأن الله الذي خلقهم هو العالم بما يصلح أحوالهم.

فنحن نؤمن ونعتقد بأن الله سبحانه يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، ويعلم ظواهر الأشياء وبواطنها، ويعلم أسرارها وخفاياها، ولذلك فإن شرعه وأمره وتوجيهه للبشرية منطبق مع سنة الله في فطرة الإنسان، ومع قدراته، بل ومع احتياجاته الجسدية والروحية والنفسية والاجتماعية، والإنسان مهما بلغ علمه غير قادر على الإحاطة بما كان وما هو كائن وما سيكون، ونتاج عقله المجرد عن وحي الله الذي أوحاه نتاج ناقص، وعطاء قاصر، قال تعالى: **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {٦} يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ {٧})** [الروم: ٦-٧].

ولذلك بعث الله بالمنهج المحيط الذي يصلح الأحوال عن طريق الرسائل والكتب

المنحة الخامسة – منحة تأييد الرسل بالمعجزات القاهرة :

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة **t**، أن النبي **r** قال: **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»**.

ومن المعروف في تاريخ الأديان، أن كل نبي كان يحمل بين يديه إلى قومه آية معجزة يلقاهم بها متحدياً على صورة لم يسبقه إليها أحد من قبل أن تطلع عليهم، بل كان بعضهم يحمل أكثر من آية لتكون دليلاً القطعي على أنه مرسل من الله **ا**. وكانت كل آية تعطى للأنبياء خاصة في القوم المرسل إليهم ذلك النبي، ولا تتعدى إلى من بعده من الرسل، فموسى **u** كانت معجزته العصا التي يلقبها فتتحول إلى حية تسعى، وبده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، فعندما توفي انقضت المعجزة . وعيسى **u** كان يبئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، فلما رفعه الله إليه انقضت المعجزة .

أما معجزة سيدنا محمد **r** وهي: القرآن الكريم، فقد بقيت محفوظة، كاملة، مستمرة بأمر من الله تعالى إلى يوم القيامة، ليراها ذوو البصائر ، لأن هذه الشريعة باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة.

ويعدُّ إعجازه بمختلف أنواعه - البياني، والتشريعي، والعلمي، وغيرها - آية وبرهاناً ودلالةً وعلامةً على أن الذي قاله النبي ﷺ إنما هو من عند ربه وتعالى. ويمكن اعتبار الإعجاز محوراً رئيساً من محاور إقامة الحجج والبراهين على البشرية، إذ من خلاله نتمكن من التوصل إلى معرفة جملة من القضايا التي تهم الباحثين والدعاة، ويساعدهم على توضيح الكثير من المسائل المتعلقة بالخلق والكون. بعد أن كذب أهل الأديان المحرفة حقائق الإيمان بالله وبرسوله ﷺ، وسفهاوا طرقها، واضطهدوا دعائها، إلى حد جعلت البشرية في متاهة، تبحث عن الدين الحق، الذي يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه.

ومن أبرز ما يمكن التوصل إليه من خلال الإعجاز، ما يلي:

١ - إثبات أن القرآن هو حقاً من عند الله عن طريق الإعجاز البياني والبلاغي والعلمي .

٢ - التأكيد على أن القرآن الكريم هو حقاً كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمكن عقلاً أن يكون من عند محمد -صلى الله عليه وسلم- كما يزعم الغرب على ألسنة مستشرقيه .

٣ - إبراز عظمة الله تعالى وبيان قدرته ودقة خلقه وبديع صنعه.

٤ - إمكانية اقتناع من في قلبه شك تجاه رسالة الإسلام وتجاه نبيها ﷺ.

٥ - دفع الخطر المحدق بإيمان المثقفين ثقافة غير إسلامية من شباب الإسلام.

فهو مفتاح للوصول إلى بعض الحقائق التي يمكن بواسطتها تثبيت حقائق الإيمان في قلب المؤمن. وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد الغمراوي رحمه الله : (إن بيان الإعجاز العلمي في القرآن يُعجزُ الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك في القرآن إلا أن يتبرأ من العقل . فإن الحقيقة العلمية والتي لم تكتشف إلا حديثاً والتي جاء ذكرها في القرآن لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق هذه الحقيقة الكونية هو منزل هذا القرآن على عبده ورسوله).

علوم وتقنية

شرب الماء يجنب أخطار الكمبيوتر والجوال



بقلم: عبد الرحمن مصطفى رضوان

أكدت دراسة أجريت أن شرب لترين من الماء يومياً يجنب أخطار الجوال والكمبيوتر وقد توصلت الدراسة الطبية التي أجراها مستشار الصحة العامة والطب الوقائي بوزارة الصحة المصرية إلى أن تناول لترين من الماء يومياً يساعد على تجنب الإصابة من مخاطر الأجهزة الإلكترونية وكشفت الدراسة أن استخدام الأجهزة الإلكترونية كالكمبيوتر والهاتف الجوال لفترات طويلة يتسبب في العديد من

المخاطر، أقلها إصابة مستخدمها بالإجهاد العقلي والذهني، فضلاً عن أن الإشعاعات الصادرة عنها قد تؤثر في الدم، وتؤدي مع طول وقت التعرض لها إلى الإصابة بالأنيميا وعتامة العين والعقم، وقد يصل الأمر إلى حد الإصابة بالأورام السرطانية.

وحذرت الدراسة من أن الأطفال والشباب أكثر عرضة للإصابة بهذه المخاطر مما قد يؤثر في نموهم، وطالبت بمنع استخدام الجوال لمن أعمارهم أقل من ١٥ سنة، وألا يزيد عدد ساعات التعرض للكمبيوتر عن ساعتين يومياً بشكل متواصل وتناولت الدراسة بحث الطرق السلمية للتعامل مع الأجهزة الحديثة عالية التقنية المستخدمة في المنازل، مثل: أجهزة الكمبيوتر والميكرويف والهاتف الجوال وأجهزة الاتصالات اللاسلكية، وهي الأجهزة التي تصدر عنها موجات كهرومغناطيسية والأخطار الطبية للاستخدام السيئ أو غير الصحي لهذه الأجهزة.

جوال و فأرة حاسب آلي في جهاز واحد



أدمجت الشركة الصينية Chinavasion جوالاً في فأرة حاسب آلي ليصبحا جهازاً واحداً يُدعى Skype فهو يتميز بجميع خصائص الجوال العادي و لكن مدمج به كابل USB ليتصل بالحاسب الآلي ليعمل كفأرة، و يعرض بيانات على شاشته المسطحة و شاشة الحاسب عن المكالمات التي يتلقاها

الجوال لأنه يتضمن جميع برمجيات النوافذ الحديثة، ويمكن أن يستخدم كفأرة في نفس وقت استخدامه لإجراء مكالمة تليفونية، وقد صُمم بأجهزة تتميز بحساسية عالية ٨٠٠ DPI ليعطي أعلى جودة تفاعل مع حركة الفأرة و عملها بالحاسب، ويمكن استخدام ذاكرته لنقل بيانات بسهولة بين عدة حاسبات آلية، وبالفعل يتصل بجميع مكونات الحاسب ليتبادل المعلومات معها و ليتم تحميله بالملفات كافة، مثل: الصور والموسيقى، وبه خاصية الانزلاق، و هو متوفر للبيع بسعر جيد عبر موقع الشركة بالإنترنت.

ترقبوا ويندوز ٨



سرب فريق أبحاث وتطوير شركة مايكروسوفت الأميركية تفاصيل عن نظام تشغيل "ويندوز ٨"، حيث أوضحت التسريبات أن النظام المزمع إطلاقه في عام ٢٠١٢ سيتوافق مع "معالجات ١٢٨بت".

وأشار روبرت مورجان أحد أعضاء فريق مايكروسوفت، على موقع "لينك أن"، إلى أن المتخصص في مجال الشبكات يعمل في تطوير أمني رفيع المستوى لبحث وتطوير

تخطيط استراتيجي من أجل مشاريع طويلة ومتوسطة الأجل.

وأكد مورغان أن مشروعات البحث والتطوير تضم "معالج ١٢٨ بت" يتوافق مع نظامي تشغيل "ويندوز ٨" و"ويندوز ٩"، مضيفاً إنه مسؤول عن تكوين علاقات مع شركاء رئيسيين من الشركات المتخصصة في صناعة أجهزة الكمبيوتر، مثل: "إنتل" و"إيه إم دي" و"إتش بي" و"آي بي إم".

ووفقاً لخطط مايكروسوفت فإن الشركة تطلق إصداراً جديداً كل ثلاثة أعوام، حيث من المقرر إطلاق "ويندوز ٨"، بحلول عام ٢٠١٢.

توحيد منفذ الشحن لجميع أنواع الجولات



تعاونت كبرى شركات الجوال عالمياً من بينهما نوكيا وسوني إريكسون وأبل وغيرها تحت إشراف الاتحاد الأوروبي لعرض وحدة الشحن العالمية لتعمل في جميع الجولات بمختلف أنواعها في بدايات عام ٢٠١٠ .

بالإضافة إلى مساعدة المستهلكين وإنهاء معاناتهم في مشكلة البحث عن شاحن يتوافق مع منفذ الشحن في جوالهم، و يمكن أن تكون مفيدة أيضاً بالنسبة للبيئة مع أقل عدد من أجهزة الشحن القديمة التي تهدر في كل مرة و رفع مستوى المستهلك لجوالاتهم.

هذا المشروع سيتاح أولاً في أوروبا والاتحاد الأوروبي فقط، و يأمل أن ينتشر في بقية دول العالم وإيجاد تشريعات لإجبار الشركات المصنعة لاعتماد منفذ الشحن العالمي على الرغم من أنهم غير متأكدين مما إذا كان ذلك سوف يكون ممكناً من دون رقابة حكومية شديدة.

الدكتور محمد جمال التركاوي

الحجامة



تعريف الحجامة: هي حرفة وفعل الحجام،
والحجم: المص، والحجام: المصاص

قال الأزهري: يقال للحاجم حجام لامتصاصه فم
المحجمة، قال ابن الأثير: المحجم، هو الآلة التي
يجمع فيها دم الحجامة عند المص، قال: والمحجم
أيضا مشرط الحجام

والحجامة أحد أقدم فنون العلاج التي عرفها
الإنسان، إذ يعود تاريخها إلى آلاف السنين،

ودونت في نقوش عثر على بعضها في معبد " كوم أمبو " في مصر الفرعونية الذي
كان يمثل أكبر مستشفى في ذلك العصر، ونقشت صورة لكأس يستخدم لسحب الدم من
الجلد، وكما ورد ذكر العلاج " بكاسات الهواء " في كتاب الإمبراطور الأصفر "
الأمراض الداخلية " الصيني قبل حوالي ٤ آلاف سنة، أما عرفت عند الآشوريين
والإغريق واليونانيين، والعرب قبل الإسلام.

وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم- ليقر ذلك العلاج في قومه، وعمل به، ووصى به أمته كما هو ثابت في أعظم مراجع المسلمين في كتب البخاري ومسلم وغيرها في أحاديث كثيرة وبالعشرات ثم نرى أنها انتقلت إلى صحابته الكرام رضي الله عنهم وظهر اهتمام الأمة كلها بها بعد ذلك، ودونت في كتب السنة، وكتب الطب مثل كتب الزهراوي توفي (٤٠٤هـ) وابن القيم، وابن القف، وموفق الدين البغدادي، وابن القيم،



وجلال الدين السيوطي، وابن سينا في كتابه العظيم (القانون)، وانتقلت إلى أوروبا عن طريق المسلمين في مدارس الأندلس الطبية بالكيفية التي وضع أسسها معلم البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم-، وظل العمل بها منتشراً حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى بدأت تترك مكانها تدريجياً للطب الحديث في أوروبا ثم العالم بعدها، ظناً أنها لم تعد مجدية في عصر الأدوية الكيميائية والذي سيكون هو البديل الذي سيحل المشكلات الطبية بصورة أفضل، كما كانوا يعتقدون.

ولما وجد العالم نفسه أمام مشكلات طبية لا حلَّ لها وأمام أمراض جديدة إضافة لما أحدثته أدويته الكيميائية وعوادم صناعته من أمراض جديدة، بدأ الأطباء يبحثون من جديد عن الطب البديل أو الطب التكميلي أو الموازي ومنه طب الحجامة.

وبدأت مدارس جديدة تمارس الحجامة، ففي الولايات المتحدة هناك ٣٨ ولاية فيها عيادات تعالج حالياً بالحجامة، كما انتشر في بلدان أوربية كألمانيا، وانجلترا لما تبين له من نتائج مبهرة في علاج أمراض عجز الطب الحديث في علاجها.

والعلاج بالحجامة يدرس حالياً في مناهج الطب في أمريكا كفرع مهم في كليات الطب تحت اسم cupping therapy، ومعروف في المدرسة الألمانية باسم fask

فسبحان الله سنة رسول الله تحيا من جديد ويحييها غير المسلمين بينما الفضل في انتشاره يرجع على أسسه العلمية والتقنية الحالية إلى معلم الإنسانية الخير سيدنا محمد ثم إلى صحبه الكرام وتابعيهم من المسلمين الذي نشره على أسس سليمة منذ أآثر من ٤٠٠ سنة.

وقبل أن أتطرق للحديث عن الإعجاز النبوي في التداوي بالحجامة، يجب أن أوضح قليلا ما هي الحجامة؟

فالحجامة هي عملية إخراج للدم من مواضع محددة بخدوش في جلد الإنسان، وهذه المواضع تبدأ في الكاهل ثم في أماكن أخرى حسب نوع المرض. وهذا الإخراج يتم عن طريق كاسات يُستفرغ منها الهواء لإحداث ضغط سالب في الهواء، وعند وضع الكأس على مكان الخدوش يتم خروج الدم.

وأدوات الحجامة بسيطة وهي عبارة عن كاسات تفريغ ومشروط أو موس حلقة وأدوات للتطهير.

أنواع الحجامة:

الأولى: حجامة جافة (أي بدون شرط) وهي الحجامة الشائعة في الصين واليابان وبعض الدول الأوروبية وأمريكا.

الثانية: حجامة رطبة أو دامية (أي بالشرط) وهي التي كانت شائعة في عصر النبوة، وهي شائعة الآن في بعض الدول الأوروبية وخاصة ألمانيا.

وفيها يتم تشريط الطبقة الخارجية من الجلد بطول ٤ ملم وبعمق ١ ملم وبعدد ١٥ شرطة موزعة على ٣ صفوف، ثم يوضع الكأس على ذلك الموضع لمدة لا تتجاوز عشر دقائق، فيخرج الدم خلالها، وتكرر عملية وضع الكأس مباشرة بعسل النحل أو زيت حبة البركة أو أي مطهر عادي أو مضاد حيوي مثل: *creme fucidine* والحجامة في الطب النبوي لها تعليمات ونصائح إذا طبقت كان للحجامة نتائج أفضل

ما يكون، هذا في حالة الوقاية والاستطاعة، أما عند الحاجة فتم في أي وقت في الشهر وفي أي ساعة من النهار.

فما هي هذه التعليمات والنصائح؟

١. أن تتم الحجامة في الربيع وأوائل الصيف.
٢. أن يكون إجراؤها في اليوم السابع عشر أو التاسع عشر أو الواحد والعشرين من الشهر العربي (القمرى)، وذلك لأنه في تلك الأيام يكون القمر أقرب ما يكون إلى الأرض وفيه ظاهرة المد والجزر على أشدها، وباعتبار جسم الإنسان يتكون من (٦٠%) ماء فهو يتأثر باقتراب القمر من الأرض، فعند ذلك تكون الأخلط في الدم على أهيج ما يكون، فيتم استخراج معظمها عن طريق الحجامة، وكما يقول ابن القيم: "لأن الدم في أول الشهر لم يكن قد هاج وفي آخره يكون قد سكن" وقال مثل ذلك ابن سينا في كتابه (القانون).
٣. وأن تكون الحجامة في الصباح والظهر وليس في الليل
٤. أن تكون على الريق (بطن فارغ) فهو أفضل من بطن ممتلئ.

ومما ورد عن استطبائاته بالحجامة صلى الله عليه وسلم:

١. ورد احتجامة - صلى الله عليه وسلم - على كاهله وفي الأذنين.
٢. احتجم - صلى الله عليه وسلم - وهو محرم رأسه من شقيقة كانت به.
٣. احتجم - صلى الله عليه وسلم - وهو محرم على ظهر قدميه من كدم شديد كان به أو جزع.
٤. احتجم (ص في يافوخه) أعلى الرأس (وبين كتفيه من وجع كان به).
٥. احتجم - صلى الله عليه وسلم - (أسفل من الذؤابة) مقدمة الناصية من الرأس.
٦. احتجم - صلى الله عليه وسلم - من أثر السم الذي أطعمته إياه اليهودية.
٧. احتجم - صلى الله عليه وسلم - على وركه من كدم شديد كان به.

٨. احتجم - صلى الله عليه وسلم- وهو صائم واحتجم بعد منتصف الشهر العربي اليوم السابع عشر، والتاسع عشر.

ومن أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم- في الحجامة:

١. (خير ماتداويتم به الحجامة) " أخرجه الشيخان والنسائي " .
٢. (خير الدواء الحجامة) " أخرجه البخاري وأحمد " .
٣. (إن كان في شئ من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو كيّة نار ولا أحب أن أكتوي) " أخرجه أحمد " .
٤. (نعم الدواء الحجامة تذهب الدم وتجلو البصر وتجف الصلب) " أخرجه البخاري ومسلم " .
٥. (الحجامة تنفع من كل داء إلا الهرم فاحتجموا) " رواه البخاري ومسلم "

دراسات علمية ومعملية حول الحجامة

(١) دراسة دم الحجامة:

الدراسة المعملية لدم الحجامة، دلت على أن أغلب الكريات الحمراء كانت هرمة شاذة، وكانت نسبة الكريات البيضاء محدودة وتصل نسبتها ١٠/١ من نسبتها في الدم الوريدي.

(٢) الأنترفيرون يزيد بعد الحجامة:

البروفسور الفرنسي "كانتيل" توصل إلى حقيقة غريبة وهي أن قدرة الكريات الدم البيضاء على إنتاج الأنترفيرون تزيد بمعدل عشرة أضعاف قدرتها بعد عمل الحجامة مقارنة بقدرتها على إنتاج الأنترفيرون عند الأشخاص الذين لم تجر لهم الحجامة. ومعنى ذلك زيادة مناعة الجسم ضد المرض والعدوى.

ومن المعروف أن مادة الأنترفيرون تستخدم في صورة اصطناعية لعلاج مرضى التهاب الكبد الفيروسي ومرضى الايدز.

كما ثبت أن عدد الكريات البيضاء يرتفع بعد عمل الحجامة مما يدل على حدوث نشاط لنخاع العظم بعد الحجامة وكأنه قد أفاق وتخلص من تعبته بعد تخليص الدم من الشوائب والترامات والأخلاق الغريبة التي تخرج من دم الحجامة.

(٣) نظرية " غلبة الدم "

استنتج طبيب ياباني اسمه kuakuroiwa أن "الشوائب الدموية" هي سبب إصابتنا بالمرض، وأن الحجامة تحقق الشفاء، لأنها تخلص الجسم من هذه الشوائب الدموية. ومنذ مئات السنين، قال معلم الإنسانية - صلى الله عليه وسلم -: "الحجامة شفاء من كل داء سببه غلبة الدم" رواه الترمذي عن أنس

وقد يكون المقصود من غلبة الدم والله أعلم هو زيادة كمية الكريات الحمراء الهرمة والشاذة والشوائب الدموية المختلفة والرواسب الكيميائية من أدوية وغيرها مما يجعله غليظاً لزجاً متخثراً غامقاً متعسراً في تدفقه، وهو يمكن أن نصفه طبيياً بالزيادة الدموية، أو التبيغ، والدم بهذا الوصف يقل تدفقه في الأعضاء ويزيد أعباء ومشقة عمل الكبد والطحال في التخلص من هذه الشوائب، مما يؤدي إلى تراكمها مع مر السنين، فتتسبب في حدوث الأمراض باختلاف أنواعها.

وعندما نتخلص من هذه اللزوجة والدموية الزائدة باستخلاص هذه الشوائب والفضلات الضارة من الدم من خلال عمل الحجامة يزداد تدفق الدم النقي المحمل بالأوكسجين والغذاء لأعضاء الجسم، وترتاح الأعضاء من هذه الشوائب والأخلاق فتتفرغ للقيام بوظائفها.

وإذا طبقت نظرية " غلبة الدم " على أمراض القلب (الذبحة والجلطات القلبية)، فإن الدم بهذا الوصف يحفز تكون الخثرات الدموية التي تؤدي إلى انسداد أو تضيق الشرايين التاجية مما يؤدي إلى الإصابة بالذبحة الصدرية، أو الجلطات الصدرية.

وأيضاً إذا طبقت هذه النظرية " غلبة الدم " على بقية أعضاء الجسم فنجد أن شوائب الدم مع مر السنين تخفض آفاءة أعضائه وأجهزته في القيام بوظائفها وتخفض آفاءته المناعية التي تتوقف بصفة عامة على فعالية وكفاءة أعضاء الجسم كوحدة واحدة.

ويصبح من ناحية أخرى غير قادر على مقاومة العوامل المحفزة على حدوث السرطان كالتعرض للكيمائيات الضارة والإشعاعات والغذاء من منشأ معدل وراثياً..... إلخ، حيث تتراجع وظيفة الكبد في التصدي للسموم وتقل كفاءة الطحال في استخلاص العناصر الغريبة، وتقل كفاءة كريات الدم البيضاء في التصدي للغزاة من جراثيم وخلايا شاذة، وهذا كله يفاقم من القابلية للإصابة بالسرطان، فكأن خلايا الجسم تحتج وتثور على هذا الجسم، ويظهر ذلك في صورة حدوث انقسام شاذ مفرط غير طبيعي للخلايا، وهو المقصود بالسرطان.

في مرض السكر: في الطب التقليدي نقول: إن سبب الإصابة بالسكر هو نقص كمية أو فعالية هرمون الأنسولين الضروري لتمثيل الكلوكوز، ولكن الحقيقة أن هناك رأياً آخر هو أن مرض السكر ينشأ بسبب نقص التروية، أي: نقص في تدفق الدم للأعضاء (بسبب آثرة الخلايا الشاذة والشوائب الدموية)، فأمام هذا الوضع يضطر الجسم لتحرير الكلوكوز وزيادة مستواه في الدم لرفع نشاط أعضائه.

وبناء على هذه النظرية " غلبة الدم " فإن الحجامة تؤدي إلى حدوث حالة انتعاش و آفاءة عالية لمختلف أعضاء الجسم بسبب زيادة التروية (زيادة تدفق الدم لها) وإبعاد

الأخلاق والشوائب الدموية عنها التي كانت ترهقها وتشغلها عن التفرغ للقيام بوظائفها.

كما وجد أن العلاج بالحجامة له تأثيرات إيجابية مختلفة منها:

أولاً: مفعول مسكن: وذلك ناتج عن زيادة إفراز مادة الأندروفين بشكل ملحوظ وهذا نراه عند كثير من المرضى بعد الحجامة.

ثانياً: مفعول مهدئ: فقد وجد أن التعامل مع بعض النقاط يحدث تهدئة للجسم وقد يذهب المريض في نوم عميق أثناء العلاج أو بعده ويستيقظ وهو في أنشط حالاته، وبفحص تخطيط الدماغ الكهربائي لهؤلاء وجد أنه يحدث انخفاضا في موجتي دلتا وبيتا.

ثالثاً: مفعول توازني: في الجهاز (السمبتاوي واللاسبمتاوي) وكذلك يحدث توازن هرموني وهذا ما يفسر حدوث انخفاض في ضغط الدم المرتفع ويوازن الدم المنخفض ويعادل الاضطراب الهرموني للرجال والنساء على السواء.

وكذلك يمكن علاج الإمساك والإسهال المزمن نتيجة لهذا التوازن أيضاً.

رابعاً: زيادة القوى المناعية: كما ذكر آنفاً.

خامساً: تنشيط مراكز الحركة في الدماغ: حيث وجد أن الخلايا العصبية الساكنة تبدأ في نشاطها مرة أخرى، وذلك خلال دورة عصبية يشترك فيها ما يسمى خلايا "كاجال" و"رنشو" وهذا التحسن الذي يحدث في حالات الضمور والشلل بعد سنوات من حدوثه.

سادساً: تنشيط الموصلات العصبية: مثل مادة الدوبامين التي يحدث نقصها بعض الأعراض العصبية، مثل: الشلل الرعاشي.

مواضع الحجامة الحديثة:

للحجامة الحديثة ثمانية وتسعون موضعاً، خمسة وخمسون منها على الظهر، وثلاثة وأربعون منها على الوجه والبطن، ولكل مرض مواضع معينة للحجامة من جسم الإنسان.

وأهم هذه المواضع، وهو أيضاً المشترك في كل الأمراض، وهو الذي نبدأ به دائماً، "الكاهل" أي أدنى مستوى الكتف وأسفل الرقبة.

وترجع كثرة المواضع التي تعمل عليها الحجامة، لكثرة عملها وتأثيراتها في الجسد، فهي تعمل على خطوط الطاقة، وهذه الخطوط والمواقع هي التي نستخدمها في العلاج بالإبر الصينية، وقد ثبت أن الحجامة تأتي بنتائج أفضل عشرة أضعاف ما تأتي به الإبر الصينية، وربما يرجع ذلك، لأن الإبرة تعمل على نقطة صغيرة، أما الحجامة فتعمل على دائرة قطرها ٥ سم تقريباً.

وقد أمكن تحديد مواقع تلك النقاط بواسطة الكاشف الكهربائي (الأنكوبنكتوسكوب)

وتعمل الحجامة أيضاً على مواضع الأعصاب الخاصة بردود الأفعال، فكل عضو في الجسم له أعصاب تغذية وأخرى لردود الأفعال، ومن ثم يظهر لكل مرض (فعل) رد فعل يختلف مكانه بحسب منتهى العصب الخاص بردود الأفعال فيه، ويسمى هذا reflexe فمثلاً المعدة لها مكانان في الظهر، وعندما تمرض المعدة نقوم بالحجامة على هذين المكانين، وكذلك البنكرياس له مكانان، والقولون له ٦ أماكن..... وهكذا.

وتعمل أيضاً على الغدد الليمفاوية، وتقوم بتنشيطها فهذا يقوي المناعة ويجعلها تقاوم الأمراض والفيروسات مثل فيروس "C"

وتعمل أيضاً على الأوعية الدموية وعلى الأعصاب، وعلى تنشيط جميع الغدد وتقوية المناعة، وعلى تنشيط مراكز المخ وغيرها.

ما الأمراض التي تعالج بالحجامة ؟

الحجامة تفيد في جميع الأمراض

أولاً: الوقاية من الأمراض إذا كان الإنسان سليماً فيمكنه عمل الحجامة مرة كل عام.

ثانياً: الحجامة قد تشفي من بعض الأمراض شفاء تاماً

ثالثاً: تفيد في تقوية المناعة وتحسين التروية الدموية لجميع الأعضاء، وبذلك تحسن من نتائج الشفاء لكثير من الأمراض.

وتعتبر مسكناً لأمراض أخرى، وتعمل كعلاج مساعد لبعض الأمراض.

وقد سجل أن الحجامة تفيد في حوالي ثمانين حالة بين مرض وعرض، ومن هذه الحالات:

الروماتيزم، والروماتويد، والنقرص، والغدة الدرقية، والضعف الجنسي، وارتفاع ضغط الدم، وقرحة المعدة، والقولون العصبي، والتبول اللاإرادي في الأطفال فوق خمس سنوات، و ضيق الأوعية الدموية، وتصلب الشرايين، السكر، ودوالي الساقين والخصية، والسمنة، وضعف السمع، والتشنجات، وضمور خلايا المخ، ونزيف الرحم، و انقطاع الطمث، وغير ذلك كثير.

رابطة العلماء السوريين

تنعي

العلامة الشيخ: عبد الحميد طهماز

رحمه الله تعالى

تاريخ النشر: ٢٠١٠/١/٣٠م

انتقل إلى رحمة الله تعالى مساء الجمعة ١٤ صفر الخير ١٤٣١ في مدينة الرياض العالم الصالح الفقيه المفسر الشيخ عبد الحميد بن محمود طهماز الحموي ثم المكي عن عمر يناهز الخامسة والسبعين.

وفضيلة الشيخ من مواليد حماة ١٣٥٦ وهو من خواص تلاميذ الشيخ محمد الحامد ووارث منهجه العلمي. هاجر في بداية أحداث سورية سنة ١٤٠٠=١٩٨٠ إلى السعودية وتقل في عدد من مدنها ودرس في عدد من معاهدها، واستقر أخيراً في مكة المكرمة.

وترك آثاراً علمية نافعة من أهمها تفسيره المفيد لكتاب الله بعنوان: التفسير الموضوعي لسور القرآن، فسر فيه جميع سور القرآن بمنهج موضوعي علمي متميز، وهو من خيرة كتب التفسير المعاصرة وهو تفسير يستفيد منه عموم المثقفين والدعاة وطلاب العلم وفيه علم نافع وغيره صادقة وربط للآيات بحاجات المسلمين المعاصرة وتصحيح مفاهيم خاطئة وتوجيهات إيمانية وسلوكية راشدة مع سهولة عبارة وبعُد عن الاصطلاحات التخصصية الصعبة، و ستصدر الطبعة

الثانية في سبع مجلدات عن دار القلم بدمشق. وله أيضاً: الفقه الحنفي في ثوبه الجديد في خمس مجلدات، وسيرة النبي من القرآن والسنة في مجلد. وكتب في سلسلة أعلام المسلمين وأصدر كتاباً، عن شيخه الحامد بعنوان: العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد، وكتب أيضاً عن السيدة خديجة، والسيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، وأنس بن مالك المحب العظيم والخادم الأمين، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم. وله في قصص السيرة النبوية: فرسان مخزوم، وفتيان أسلم. وله رسائل علمية نافعة، منها: حياتنا والموعود المجهول، والأنساب والأولاد في الإسلام، والأربعون العلمية، والنور والسراج المنير، وميزات الشريعة الإسلامية على القوانين، ومن ذخائر القرآن والسنة، ويا بني إسرائيل، وغيرها من الرسائل العلمية والآثار النافعة.

وقد صلي عليه في جامع الراجحي في الرياض، ودفن في مقبرة حي النسيم الساعة الخامسة من مساء يوم السبت الخامس عشر من شهر صفر - وقد حضر الدفن جمهورٌ غفيرٌ من السوريين وغيرهم.

ورابطة العلماء السوريين تعزي آله وأحابه وإخوانه وجميع علماء سورية والعالم الإسلامي بوفاة هذا العالم العامل الجليل وتسال الله سبحانه وتعالى أن يتغمده برحمته وأن يرفع درجاته في الجنة، وأن يُجزل له الأجر والثواب على علمه ودعوته وهجرته وصبره، وأن يُلهم آله وأحابه الصبر والسلوان، وأن يجزيه خير الجزاء على ما قدم للأمة من علم ونصح وخير وبر، وأن يعوض المسلمين خيراً، ويجبر مصابهم بفقد العلماء العاملين. ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا، فإننا لله وإننا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

رابطة العلماء السوريين تُناشد:



أيها العرب!!
أيها المسلمون!!
يا أحرار العالم!
أما يكفي غزة حصاراً؟!!

- إسرائيل تحاصر غزة برّاً وبحراً وجوّاً.. أمنياً وعسكرياً واقتصادياً.. جغرافياً وإدارياً ومالياً..

- قوى الاستكبار العالمي تحاصرها سياسياً واقتصادياً وأمنياً وإعلامياً..

- السلطة الفلسطينية تحاصرها أمنياً ومالياً وإدارياً وتنظيمياً وإعلامياً..

وكان واجب العرب والمسلمين وأحرار العالم - ابتداءً - أن يُجدوا إخوانهم في غزة، وأن يمدّوا لهم يد العون والأخوة، وأن ينتصروا لهم بكل ما يستطيعون، وأن يُفدّوهم بالمُهَج والأرواح، فهم إخوة العقيدة، إخوة الإسلام، إخوة العروبة، إخوة الإنسانية....

ولو لم تكن هذه الروابط والشائج الحميمة بيننا وبين إخواننا في غزة موجودة، لاقتضت المروءة والنخوة والشهامة أن نتحرّك لنجدتهم، وأن نهبّ لعونهم، وأن نبذل الغالي والرخيص، تلبية لاستغاثاتهم، واستشعاراً لمعاناتهم، وانتصاراً لعدالة قضيتهم، ومواجهة للوحوش البشريّة التي تتوثّب للانقضاض عليهم في كل وقت، وكل حين، ليعيشوا رعباً دائماً، وإرهاباً مستمراً.

تُرى ماذا تقول لنا ضمائرنا؟! ونحن نرى إخوة لنا في العقيدة والإنسانية، يحاصروهم العدو في لقمة عيشهم، يحاصروهم في دوائهم، يحاصروهم في برهم وبحرهم وجوهم، يمنعون قدوم أحدٍ عليهم، ويمنعون خروج أحد منهم حتى ولو كان للعلاج.

أليس عجباً ومخجلاً وغريباً أن تتحرك بعض الجمعيات الإنسانية في أوروبا وبعض الشخصيات السياسية والاجتماعية في الغرب لنجدة أهلها في غزة، وليقودوا حملات الإغاثة الإنسانية وآخرها قافلة شريان الحياة!! في الوقت الذي يجبن بعض حكامنا ومسؤولينا وبعض جمعياتنا الخيرية عن أداء مثل هذا الواجب الإنساني بل إن بعضهم وبوقاحة يعيق مسيرتها ويمنع وصولها!!.

تُرى ما الذي فعله أهل غزة حتى يستحقوا هذا العقاب الأثيم؟! وهذا الحصار الظالم؟!!

هل اعتدوا على أحد؟، هل ارتكبوا جرماً في حق أحد؟ هل اغتصبوا حق أحد؟ هل يشكلون تهديداً لأحد إلا أن يكون ظالماً معتدياً ومحتلاً؟!!

كلُّ العالم يعرف أنّ ما فعلوه هو: أنهم دافعوا عن أنفسهم، وعن أرضهم، وعن حريتهم... هذه حقوق كفلتها لهم كل شرائع السماء وكل شرائع الأرض.

والعالم كذلك يعرف جيداً أنّ أهل غزة، إنما مارسوا حريتهم السياسية فاختاروا لتمثيلهم من ارتضوه لدينهم وأمانتهم، واستقلالهم... شهد لهم بذلك العدو قبل الصديق، والبعيد قبل القريب.

والعالم كله شهد عياناً وعبر شاشات التلفاز وحشية إسرائيل ومن وراءها في ذبح شعبنا في غزة، شيوخاً ونساء وأطفالاً، بأسلحة لم تشهد لها البشرية مثيلاً، كما شهد وحشيتها في محاولة كسر إرادة هذا الشعب العربي المسلم الحر، وهدم بنيته التحتية والفوقية، وتدمير طاقاته واقتصادياته، ومحاولة قطع كل أسباب الحياة عنه.

كل هذا مفهوم.... فهمناه من كتاب الله سبحانه: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)** [المائدة: ٨٢]، **(وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)** [البقرة: ٢١٧].

لكن من غير المفهوم أن يشارك العدو في هذا الحصار عربٌ ينتسبون للإسلام!! ودول تسمي نفسها عربية وإسلامية!! لم يعرفوا من أهل غزة إلا الجوار الآمن، وأنهم في الصفِّ الأمامي، يواجهون بكل شجاعة شذاذ الآفاق، أعداء الإنسانية، مجرمي الحرب، وأنهم يدافعون ما وسعهم الجهد عما تبقى من فلسطين، وليحولوا دون تهويد القدس وهدم المسجد الأقصى أولى القبلتين وثاني الحرمين، وأنهم ينافحون بكل عزّة عن كرامة الأمة وعزّتها وشرفها.

هل من المعقول أن تشارك مصر (قلعة الإسلام - أم الأزهر - كبرى الدول العربية) في هذا العار الفاضح!، وهذا الحصار الظالم!! فتقيم الجدار الفولاذي الذي يُحكم الحصار، ويسدُّ المنافذ، ويمنع وصول الغذاء والدواء، وكل أسباب البقاء؟! كل ذلك بهدف حماية إسرائيل وخنق شعب غزة وتجويعه وتركيعه!!.

وحتى ندرك بشاعة هذه الجريمة المخجلة للعرب والمسلمين، والتي يشارك في تنفيذها مصريون وإسرائيليون وأمريكيون وفرنسيون، نذكر المعلومات التالية التي كشفت عنها المنظمة العربية لحقوق الإنسان وكل وسائل الإعلام:

أ - طول هذا الجدار الفولاذي المقرر هو (١٠) كم أنجز منه حتى الآن نصفه.
ب - سيُغرس الجدار في الأرض على عمق (٢٠-٣٠) م. ويتكوّن من صفائح فولاذية طول الواحدة منها (١٨) م بسمك (٥٠) سم، مزوّد بمجسات تنبيهه إلى محاولات خرقه.

ج - ينصب هذا الجدار بإشراف كامل من ضباط مخابرات أمريكية وفرنسية، وقد خصّصت الحكومة الأمريكية (٥٠) مليون دولار لشراء معدات متطورة لمراقبة حدود غزة، مصر وستقوم فرنسا بإطلاق قمر صناعي للتجسس ومراقبة القطاع.

د - وتساءلت المنظمة بحق -: ما هو التهديد الذي يشكله شعب أعزل مثخن الجراح على أمن مصر القومي؟ وهل أصبح الأمن القومي المصري يبدأ وينتهي عند معبر رفح.

[إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ]. [حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ].

اللهم إليك نشكو ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس، أنت رب المستضعفين أنت ربنا، إلى من تكلنا؟ إلى عدو يتجهّمنا؟ أم إلى قريب ملكته أمرنا؟!...

إن رابطة العلماء السوريين، وانطلاقاً من واجب العقيدة والأخوة والإنسانية لتتأشد المسؤولين في مصر، وشيخ الأزهر وعلماءه، وحكام العرب والمسلمين، والجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وكافة المنظمات الدولية والإنسانية، وكافة الأحزاب الوطنية ومنظمات المجتمع المدني أن يعملوا جهدهم لإيقاف هذه الجريمة، وأن يضعوا حداً لهذا الظلم، وأن يتقوا الله في شعب غزوة العربي المسلم الحر الأبي...

نعم... لا بد أن يرتفع صوت هؤلاء جميعاً ليقولوا لهؤلاء الآثمين: ارفعوا أيديكم عن غزوة، واعلموا أن بناء هذا الساتر لا يقل جريمة وبشاعة عن جرم بناء جدار الفصل العنصري الذي أقامه شارون في الضفة الغربية، ونقول أيضاً: إن كل من يساعد في إقامة هذا الجدار سواء كان سياسياً أو إدارياً، أو ميكانيكياً أو صناعياً إنما يرتكب فعلاً حراماً وإثمًا مبنياً، وظلماً كبيراً سينال من الله أشد العقاب.

اللهم ردّ حكام العرب والمسلمين إلى دينهم رداً جميلاً ، وألهمهم تحكيم كتابك ، وإقامة شرعك ، وأصلح حالهم ، واجعلهم مع شعوبهم على أعدائهم يا رب العالمين .

رابطة العلماء السوريين

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الأمانة العامة

بتاريخ: ٩/محرم/١٤٣١هـ

الموافق: ٢٦/١٢/٢٠٠٩م.



الدوحة: ٢١ ذو القعدة ١٤٣٠هـ

٩ نوفمبر ٢٠٠٩م

عضوية رابطة العلماء السوريين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

(وبعد)

فقد تم اعتماد عضوية (رابطة العلماء السوريين) بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في لقاء مجلس أمناء الاتحاد المنعقد باستانبول بتاريخ ١٣-١٤ رجب ١٤٣٠هـ = ٦-٧/٧/٢٠٠٩م.

ونسأل الله تعالى للرابطة وأمينها العام وأعضائها الكرام التوفيق لخدمة الإسلام، وإعلاء كلمة الدين، والقيام بأداء أمانة العلم بصدق وإخلاص، وتحقيق رسالتهم العلمية والدعوية في وطنهم سوريا، والعودة إليها أعزة كراما.

يوسف القرضاوي
بسم الله الرحمن الرحيم
رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين



شكر وتقدير

نشكر الله عزّ وجلّ أولاً، على منّه وفضله في إنجاز هذا العمل، ونسأله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، ثمّ نشكر كل من شارك في هذا العدد من أعضاء الرابطة، ومن خارجها على السواء، ونسأل الله تعالى أن يكون ذلك في ميزان أعمالهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أسرة التحرير

لمراسلة (رابطة العلماء السوريين) يرجى التواصل على العنوان التالي:

ISLAMSYRIA@HOTMAIL.COM

ويمكنكم زيارة موقع الرابطة على العنوان التالي:

[/http://www.islamsyria.com](http://www.islamsyria.com)

ولمراسلة مجلة **بشائر الإسلام**، ولإرسال المقالات والتعليقات:

يرجى التواصل على العنوان التالي: yrabeta@hotmail.Com